جغرافية بلاد المغرب الإسلامي وأوضاعه

الجوائح الطبيعية في المدونات النوازلية

د. مصطفى سمراني
مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر)
(جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله)

جغرافية بلاد المغرب الإسلامي وأوضاعه

الجوائح الطبيعية في المدونات النوازلية

الجزء الثاني

الشهاب الأكاديـمية

©منشوراتالشهاب، 2025.
الهاتف: 67 15 99 0555 / الفاكس: 04 72 84 023
www.chihab.com / fb : Chihab éditions
978-9961-63-274-1 : ISBN
الإيداع القانوني: جوان 2025

مقدّمة

تميز الفقه في بلاد المغرب الإسلامي بمرونته وقدرته على مواكبة المستجدات عبر العصور، حيث تصدى الفقهاء لمختلف النوازل التي طرأت على المجتمعات الإسلامية مستندين إلى أصول الشريعة ومقاصدها، ومن بين القضايا الفقهية التي حظيت باهتمام الفقهاء، نوازل الجوائح الطبيعية التي ابتليت بها بلاد المغرب الإسلامي مثل: الأوبئة والزلازل والفيضانات والرياح والسيريكو والجفاف والقحط والتصحر والثلوج والصقيع والتي كان لها أثر كبير على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والدينية.

إن البحث في مسألة النوازل الفقهية المتعلقة بالجوائح الطبيعية في المنطقة، تكشف عن جهود فقهاء المالكية في بحث الحلول الشرعية لهذه الكوارث وفق اجتهاداتهم القائمة على النصوص الشرعية، والمصالح المرسلة، وسد الذرائع، والاستحسان، وقد انعكست هذه الاجتهادات على الأحكام المتعلقة بالعبادات والمعاملات، والوقف، والعقود، والزكاة، وغيرها من المسائل التي تأثرت بهذه الجوائح الطبيعية.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على منهج فقهاء المالكية في المغرب الإسلامي في معالجة نوازل الجوائح الطبيعية، من خلال تحليل الفتوى والاجتهادات الفقهية التي جاءت في كتب النوازل، واستنباط القواعد الفقهية، التي اعتمدوا عليها في مواجهة هذه التحديات كما تسعى إلى إبراز دور الفقه الإسلامي في التكيف مع الظروف الطارئة، ومدى تأثير الفتاوى على الحياة اليومية للمجتمعات الإسلامية.

وضمن هذا المجال المفاهيمي توجّهت للبحث في مدى حضور الأوبئة والجوائح الطبيعية في كتب الفقه والنوازل في بلاد المغرب الأوسط في النصف الثاني من العصر الوسيط وجاء موضوع بحثي بعنوان : **جغرافية بلاد المغرب الإسلامي وأوضاعه : الجوائح الطبيعية في المدونات النوازلية.**

ونقصد بالجوائح الطبيعية هي كل ما يصيب الأفراد والجماعات من أخطار طبيعية وبيئية وجوّية كبرى مربكة لمسارهم المجتمعي ومعطّلة لتراتب عيشهم العادي، وكانت الطبيعة مسبّبا رئيسيا لذلك في إقليم بلاد المغرب الأوسط، الذي يتوسّط المغربين الأدنى والأقصى في النصف الثاني من الفترة الوسيطة في القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث والرابع عشر ميلادي، على أن تكون مادّة هذا البحث أساسا مستقاة من كتب الفقه والنوازل في عمومها إلاّ ما استدعته ضرورة البحث وحيثياته.

إشكالية البحث والدراسة

أكدت العديد من الدراسات والبحوث المعاصرة على أهمية كتب النوازل في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الاوسط بصفة خاصة، هذا ما أردنا توضيحه في مقدمة هذا الكتاب.

والجوائح الطبيعية إحدى القضايا والمسائل التي وردت في كتب النوازل التي عالجها الفقهاء في فتاويهم من جوانب عدة.

لذا جاء مشروع هذا البحث للوقوف على الجوائح الطبيعية التي عرفها المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة بين القرن (06-09هـ/12-15م)، وتأثيراتها على مختلف مجالات الحياة لمجتمع المغرب الأوسط من خلال ما ورد في كتب النوازل.

فما هي الصورة التي تقدمها لنا هذه النوازل عن الجوائح الطبيعية وتعاملها مع المسائل المطروحة في المغرب الأوسط خلال القرنين (06-09هـ/12-15م)؟

الإشكاليات الفرعية

وقد تقسمت إشكاليته الأساس إلى أسئلة فرعية تتوافق مع مادّة البحث وتقسيمات وتفريعات فصوله نلخصها في الآتي ذكره:

– كيف ساعدت وساهمت كتب الفقه والنوازل في التعريف بالتاريخ الاجتماعي وما يرتبط به من ظواهر طبيعية ومجتمعية كانت ستتجاوزها كتب التاريخ العام؟

– ما مدى أهمية وقيمة المادة الخبرية الموجودة في كتب النوازل ؟ وإلى أيّ مدى يمكن أن يعوّل عليها الباحثون في إعادة كتابة التاريخ الوطني في شقّ الاجتماعي؟

– ما هي المصائب والكوارث والجوائح الطبيعية التي مست إنسان وإقليم ومجال المغرب الأوسط؟ وهل استطاعت الكتابات النوازلية نقل وتصوير تفاعل بنيات المجتمع معها؟

– كيف أثر وتأثر إنسان هذا الإقليم مع تلك الكوارث والجوائح الطبيعية؟ وهل أثّرت في ذهنيات وأساليب عيشه سلبا وإيجابا؟

– كيف تلاقحت وتفاعلت المرجعيات الثقافية والدّينية وأجهزة الحكم المختلفة مع تلك الكوارث والجوائح؟ وما مدى مساهمتها في التقليل من آثارها الاجتماعية على بنية المجتمع واستقراره؟

– ما أهمية ارتباط الأوضاع الاجتماعية في شقّها الصحي مع ما أفرزه من آثار يفترض أنها تكون مربكة للاستقرار المجتمعي بحالة التردّي والانكسار الحضاري العميق التي مست بلاد المغرب الأوسط والعالم الإسلامي نهاية الفترة الوسيطة؟

دوافع الموضوع

السير في غمارة البحث لهذا الموضوع من أجل البعد الخروج عن دائرة البحث في التاريخ السياسي العام الذي شهد تشبّعا في البحث الأكاديمي المنهجي في جامعاتنا، وتوجّه غالبية الطلبة والباحثين إلى تناول مواضيعه لما أتيحت لهم مادته المصدرية الخبرية بسهولة، فبقيت المواضيع التي تتعلّق بفروع التاريخ الأخرى تراوح مكانها تنتظر الباحث الحاذق لإطراقها وسدّ ثغرات وهفواتها في التاريخ الوطني في مختلف فتراته.

كما أنّ البحث في المواضيع الجديدة ومن مصادر غير تقليدية سيجعل البحث العلمي ذي جدوى كونه يحمل الجديد الذي يعطي دلالات تاريخية معينة تعين على إعادة تفسير ظواهر مجتمعية كانت إلى وقت قريب مبهمة و يعين البحث في هذا المجال كذلك على الاطلاع على ثقافات كيف نشأت وأفكار كيف انتقلت وتلاقحت، وعلى قيم مدنية وحضارية كيف تأسّست وكيف استقرّت أو تبدّلت.

أهداف الموضوع

لمّا حاولت البحث في إشكاليات الموضوع كانت تحضرني أهداف وطرق مرسومة تتعلّق أساسا بميدان ومكان البحث ومجاله الجغرافي المحدّد في فترته المبيّنة وتعلّقت وترتبط بالأهداف أساسا بما يلي:

– التعريف بكتب الفقه والنوازل والكتابات المنقبية كمادة مصدرية موازية لكتب التاريخ العام في تعريفها لنا بزوايا ونقاط مهمّة من تاريخنا وتراثنا المادّي واللاّمادي.

– تشمل كتابات ونصوص كتب النوازل مجالات وجوانب عديدة ومُهمّة مبرزة، منها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية حتى السياسية، وهي مواضيع تحتل مكانة مرموقة عالية وقيمة كبيرة في حياة المجتمعات المغاربية والأندلسية، لما تتضمنه من معلومات ونصوص قلّما يلتفت إليها المؤرخون والدارسون، وتتناولها المصادر التاريخية.

– البحث في فترات تأسيس ثقافة المجتمع وما واجهه من صعوبات التي أثّرت في واقعه الاجتماعي والاقتصادي والأمني والسياسي وكيف تغلّب عليها وعن آليات مقاومته وتفاعله مع محيطه البيئي والطبيعي.

– هناك دلالات وإشارات عن الحياة الحضارية، المتعلقة بالأسرة ومظاهرها وأحوالها، كالزواج والطلاق واللّباس والمأكل، والعادات والتقاليد الاجتماعية خلال العصر الوسيط في بلاد المغرب الإسلامي...الخ.

– التنقيب والبحث عن الحلول المساهمة في القضاء على الكوارث الطبيعية وكيفية التصدي لها والتقليل من حدة انتشارها على بلاد المغرب الإسلامي عامة وبلاد المغرب الأوسط خاصة.

– معرفة العواقب التي تعود على العنصر البشري والحيواني والنباتي بعد ظهور الجوائح الطبيعية، واتساعها على بلاد المغرب الإسلامي.

– البحث عن مدى تواصل إنسان ومجتمع هذا الإقليم مع محيطه الإقليمي، في عمارته للأرض وفي تلاقح أفكاره وفي حمايته لمنظومته القيمية والروحية والدينية.

– إنّ البحث في التاريخ الحضاري عامة والاجتماعي والاقتصادي خاصة، سيوفّر للباحثين المختصّين في الاقتصاد وقضايا المجتمع دراسات ورؤى تأريخية معمّقة، تعينهم على فهم نزوع الأفراد والجماعات والشعوب وذهنياتهم، وأنماط عيشهم وتفكيرهم وتساعد هؤلاء الباحثين في مجالهم لفهم الواقع المجتمعي والاقتصادي، وتعينهم على رسم خريطة التنمية الصحيحة وعلى حماية وأمن المجتمع فكريا وثقافيا واقتصاديًا.

– إضافة إلى النظم الاقتصادية بمختلف جوانبها، كالزراعة والصناعة والحرف والتجارة، أي المبادلات التجارية، والمجالات الثقافية، كالتعليم ومراكزه، وأنظمته، والشخصيات العلمية البارزة في المجتمعات المغربية، وبعض معالم الحياة الدينية والتعليمية، ومختلف العلوم وغيرها من المظاهر المختلفة التي لا يتسع المجال هنا لذكرها.

– إنّ البحث في مجال المجتمع والاقتصاد والاجتماعي والثقافة سيعوّل عليه في خلق نوع من الترابط بين العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهي محاولة وإسهام في الرفع من جدواها في حلّ مشكلات ومعضلات معاصرة ترتبط بالمجتمع والثقافة والاقتصاد.

– إنّ إعادة كتابة تاريخنا الوطني في فتراته المتداولة والمتعاقبة وفي ميادينه المتعدّدة سيساهم في ربط الأمّة بتاريخها وقيمها التي ستستخدمها في حماية بنيتها الثقافية والدينية والحضارية لمواجهة تغوّلات وتغيرات العولمة وحرب التكتّلات الإقليمية والاستقطابات الدولية المعاصرة وحاضرها.

الدراسات السابقة

بالعودة إلى الدراسات السابقة تبين لي أن موضوع البحث المتناول غير مدروس في جامعاتنا وخالي من الدّراسات الأكاديمية التي عالجت موضوع الكوارث والمجاعات والقحوط والأوبئة، اللهمّ إشارات فرعية غير ذي بال وجدتها منتشرة في الدراسات التي اهتمت بالنّوازل والفتاوى ودورها في الكتابة التاريخية، فقد اختصّت تلك الدّراسات بمعالجة وتقديم قضايا التجارة والنّقود والزراعة والفلاحة والأنشطة الحرفية والحياة العلمية والتربية والفتيا والأسرة والقبيلة، ولم تعالج موضوع وإشكالية بحثي في موضوع أو دراسة مستقلّة.

قراءة لأهم مصادر ومراجع البحث

1- اعتمدت في بحثي بصفة رئيسية ومركزة على كتب النوازل ومدوّنات الفقه والأجوبة في جمع مادّة البحث، وفي انتقاء ما يتعلّق منها بالموضوع، وركّزت بصفة رئيسية على ديوان "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب" **لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي** (ت914هـ/1508م)، بوصفه أكبر موسوعة فقهية جامعة للتراث المالكي في الغرب الإسلامي خاصّة في نصفه الثاني من العصر الوسيط، وقد جمع فيه المؤلّف مئات الفتاوى النوازلية من العلماء الذين التقاهم أو من الذين راسلوه من قطر المغرب الأوسط أو من بلاد المغرب والأندلس، كما جمع ونقلا مهمّة من نوازل البرزلي ومن نوازل المازوني صاحب الدّرر، ورغم كثرة اعتماد الباحثين على كتاب المعيار للونشريسي والمازوني لدرر المكنونة في نوازل مازونة، إلاّ أنّه لم يفقد قيمتهما المصدرية التاريخية، وذلك لتعدّد مضامين المحتوى الفقهي فيه وشموليته لجميع مناحي الحياة ولاتّساع معالجاته المجالية.

2- نظرا لأهمّية فتاوى **البرزلي** التي تعرف "بجامع مسائل الأحكام لما نزل من قضايا المفتين والأحكام" أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن المعتل البلوي القيرواني الشهير بالبرزلي (ت841هـ/1438م) فقد وجدتها قد جمعت اجتهادات المتأخّرين القريبين لزمن بحثي من المالكية كابن رشد وابن عبد النور والمازوني صاحب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة"، فاعتمدت عليها من أجل معالجة مقاربات تاريخية تتعلّق بالموضوع وتحدّثت عنها نوازل حدثت في قطري بلاد المغرب وبلاد الغرب الإسلامي عموما وكانت محلّ نقاش بين الفقهاء والمفتين وأفادت بمادّة خبرية هامة للموضوع خاصة، وأنّها لم تختلف عن نوازل الونشريسي في دقتها وشموليتها لتفاصيل دقيقة كالتي تتعلّق بما يصيب الأنعام والدواب من أمراض وجوائح لم تكن تتوفر لها عن حلول فقهية خاصة عند وجود الشركات العائلية والشركات الحرفية التي تتداخل فيها الملكيات وآثار التعاملات وما ينجر عنها من حقوق وواجبات.

3- قد استقى بحثي مادّة علميّة مهمّة من كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة **أبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المازوني** (ت883هـ/1478م)،خاصة وأنّ فتاوى الدّرر تتحدّث عن الأنشطة الحرفية والزراعية في تلمسان وبجاية في النص الثاني من القرن (08هـ/15م)، وحوت هذه الفتاوى أخبار مجموعة في فتاوى من بلاد المغرب الأوسط وبلاد

المغرب والأندلس تحدّثت عن جوائح وكوارث طبيعية وكيفية معاوضة الزروع والثمار المعرّضة لها.

4- بما أنّ الكتابات المنقبية لا تختلف كثيرًا عن الكتابات النوازلية في شموليتها لتفاصيل دقيقة عن مضامين أسئلة الفتاوى وإجاباتها ومختلف التأصيلات التابعة لها فقد اعتمدت على المناقب المرزوقية **لأبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني** (ت781هـ)، على أنّ الكتابات المنقبية ستكون أكثر دقّة في توصيفها للشخص الذي يريد المؤلّف أن يدوّن مناقبه ويعدّد خصاله ومآثره، فأفادت تلك المناقب بدور صاحب المنقبة زمن الكوارث والمجاعات والقحوط والأوبئة والجوائح وجاءت أخبارها في الهامش فقط عند محاولة المؤلّف تدوين فضائل وأعمال صاحب المنقبة، فأفادت منها المعرفة التاريخية ما حرمت منه في كتب التاريخ العام التي أهملت تفاصيل الحياة الاجتماعية لصالح مشاكل السياسة والمقاتل والفتن والحروب والمعارك والصراعات.

5- رغم أنّ بحثي كان مختصّا أساسا تناول مادّته العلمية الخبرية من كتب الفقه والنوازل، إلاّ أنّ ضرورة البحث ألجأتني إلى الاعتماد الجزئي على بعض كتب التاريخ العام، ككتاب "العبر" ومقدّمته **لعبد الرحمن ابن خلدون** (ت808هـ/1405م)، وذلك لما يعرف عن ديوان ابن خلدون من اتّساع وشمولية ودقّة في تناول الأخبار وعرضها، ومن طرح فلسفي تحليلي في مقدّمته التي كان لها السبق والاختصاص في علم العمران البشري ونظرياته وارتباطها بواقع الجماعات والشعوب وتحرّكاتها المجالية وعاداتها ونزوعها وأنماط عيشها وتفكيرها.

6- من كتب الطبقات التقطت إشارات مهمّة للبحث من كتاب" عنوان الدّراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية " لمؤلّفه **أبي العبّاس أحمد الغبريني** (ت714هـ/ 1322م)، إذ حوى بعض أنشطة العلماء والفقهاء والمتصوفة المجتمعي زمن الكوارث والجوائح بقطر بجاية وإقليمها في شرق المغرب الأوسط، والتي عايشها المؤلّف وكان شاهدًا عيانا على بعضها بداية من ق (08هـ/14م).

7- بما أنّ الجغرافيا مهمّة للتعريف بشكل السطح والغطاء النباتي الطبيعي وعوامل جذب التجمعات البشرية فقد أفدت في بحثي من كتاب "وصف إفريقيا" **للحسن الوزّان**

ق(9ه/15م)، الذي شكّل سابقة فريدة في عصره لمّا اعتمد مقاربات وصفية إحصائية دقيقة للأنشطة الاقتصادية الزراعية والتجارية والحرفية، أفدنا منها في التعرّف على ملمح بلاد المغرب الأوسط أثناء الجوائح والكوارث والقحوط، وعرّفنا ببعض طبائع وسلوكيات وذهنيات الإنسان وأنماط عيشه، وعلى الفروق بين ساكنة الأرياف وساكنة المدن وعن المنحى الحضاري العام لبلاد المغرب الأوسط، وعن بداية تأخّر مدنيته وانكسار حضارته.

8- أمّا عن المراجع المتخصّصة فلا تتوفّر المكتبة التاريخية الجزائرية على دراسات دقيقة اختصّت بدراسة الأوبئة والجوائح والكوارث الطبيعيّة في الفترة الوسيطة، وذلك لحداثة الدراسات الاجتماعية التاريخية التي تتناول ظواهر طبيعية ذات تأثير اجتماعي عبر مقاربات تاريخية تأصيلية، وعلى هذا الأساس كان لزاما على الباحث أن يتوجّه للبحث عن إسقاط مفاهيمي من الدراسات التي تناولت الموضوع في بلاد المغرب بصفة عامّة، ورغم عدم تدقيق تلك الدراسات بسبب اتساع المجال الجغرافي التي عالجته تلك الكتابات ورغم اتّساع مداها الزمني إلاّ أنّها أخذت بزمام المبادرة وأسّست لدراسات متخصّصة في هذا المجال، وكان أهمّها دراسة **للحسين بولقطيب** بعنوان "جوائح وأوبئة مغرب الموحّدين"، وهي دراسة ورغم طابعها الإخباري إلاّ أنّها تعتبر دراسة رائدة في مجالها أفادتني في ترتيب بعض الوقائع والأحداث التي لها علاقة بموضوع بحثي، وسهّلت لي التوجّه إلى المصادر للبحث عن المادّة من مصادرها الأصلية.

9- أمّا **عبد الهادي البياض** فقد ألّف "الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق6-8ه/12-14م)"، وكان كتابه علامة فارقة في البحث التاريخي في شقّه الفلسفيّ التحليلي لمّا عرف بالكوارث الطبيعيّة، وبحث عن تأثيراتها العميقة في وجدان وذهنيات الفرد والجماعة ليبحث عن أثر الطبيعة والبيئة والمحيط في مسار الجماعات البشرية في استقرارها، وفي تحرّكاتها وفي نزوعها وفي تدافعها الغريزي والطبيعي الناجم عن عوامل خارجية قسرية قاهرة وموجّهة للفعل الإنساني ومشكّلة له.

10- ومن بين المراجع المنهجيّة المهمة ألّف الباحث **محمد فتحة** "النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن (6-9ه/12-15م) ط 1999م"، وهو مؤلّف مهمّ للتعريف بكتب الفقه والنوازل كمصادر للبحث في التاريخ الاجتماعي،

وبالضبط حول علاقة الفقه المالكي بالمجتمع وبنياته وأنشطته وتفاعله مع بيئته ودور الفتاوى في تنظيم الحياة الاجتماعية، وأفدت منه في هذا الجانب في إطراقي لإشكالية دور النوازل الفقهية في الكتابة التاريخية وملمح الإنسان والمجتمع في مدونات الفقه والأجوبة الفقهية والنوازل.

11- **غرداوي نورالدين**، كتاب الجامع للقاضي أبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني" المتوفي سنة 833هـ / 1478م" (الجزء الرابع من ديوان الدرر المكنونة في نوازل مازونة) دراسة وتحقيق)، الذي قام بتحقيق الجزء الرابع من ديوان الدرر المكنونة في نوازل مازونة، من تراث العلمي الثقافي الديني للمجتمع الإسلامي في العصر الوسيط.

مناهج البحث

لإنجاز هذا البحث اعتمدت على المنهج التاريخي، الذي يعتمد على أدوات (الوصف، التحليل، الاستنتاج، المقارنة)، حيث استعملت أدوات الوصف والتحليل في تحليل المادّة الخبرية للموضوع المستقاة من مصادر الموضوع الأصلية والتي هي كتب الفقه والنوازل والتي حوت مادة خبرية مهمّة تكاد تختفي بين ثنايا المادة الفقهية وتفريعاتها المقصودة أصلا، بالتأليف فكان التحليل التاريخي منهجي في إعادة تقديم هذه المادّة في شقّها التاريخي وبالضبط في جانبه الاجتماعي المرتبط أساسا بموضوع البحث.

واستعملت بعض أدوات المنهج الإحصائي في تصنيف الجوائح الطبيعية في جداول إحصائية، وقيم كمية لتوضيح تأثيراتها على باقي مجالات الحياة الاجتماعية، بغرض الوصول إلى التحليل الكمي السليم للظاهرة الناتج عن دلالات ومعطيات ومقاربات رقمية ولتفادي الأحكام المسبقة والوصول إلى نتائج علمية دقيقة وموضوعية خالية من الذاتية والتزييف.

.1
نماذج من النوازل الفقهية والكتابات المنقبية والكوارث الطبيعية

شهدت بلاد المغرب الإسلامي العيد من الجوائح الطبيعية خلال العصر الوسيط، فواجه الفقهاء مجموعة من النوازل الفقهية الناتجة عن التحولات الأوضاع الحضارية منها الاجتماعية والسياسية، بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية التي أثرت على الحياة الدينية والاقتصادية فنذكر بعض النتائج منها.

1.1. نـماذج من كتب النوازل الفقهية والكتابات المنقبية

يذكر الفقهاء بعض النوازل التي سادت بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط منها، نوازل الحروب والجهاد خاصة الذي كان بين المسلمين والمسحيين وحرب الاسترداد التي كانت في بلاد الأندلس، ونوازل الأحباس أي نوازل الأوقاف التي لعبت دورًا هاماً بارزا بتوفير مداخيل للمساجد والمدارس والبرستانات، كذلك نوازل القضاء والسياسة الشرعة التي كانت تطبق في نضام الحكم، أما نوازل التجارة والمعاملات المالية التي سادت بلاد المغرب الإسلامي في الأسواق والمراكز التجارية خاصة مع الدول الخارجية التي تتعامل بالربى، أما نوازل الطوائف والفرق الدينية كما عرف بالمذهب المالكي السني في بلاد المغرب الإسلامي أنه المذهب المعتمد والذي شهدا تضييق من طرف الطوائف والمذاهب الشيعية والإباضية والدويلات الأخرى.

1.1.1. جامع مسائل الأحكام مـما نزل بالمفتيين والحكام لأبي القاسم بن أحمد ابن محمد البلوي القيرواني البرزلي **(738هـ- 1337م/ 15 ذي القعدة 841هـ- 20 ماي 1438م)**

هو "أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن المعتل البلوي القيرواني الشهير بالبرزلي-أبو الفضل-" واسم البرزلي كان يلقب به أبو القاسم البرزلي فقط مما جاء في المصادر والكتابات التاريخية، الذي كان يعتبر فقيه تونس ومولده في القيروان، ثم ظهر رجل أخر اسمه محمد من المرابطين يقطن بالقيروان يدعى بالبرزلي، في بداية القرن السابع هجري، ولا نجد إلا السخّاوي صاحب الضوء اللامع أنه يذكر أن البرزلي نسبة إلا قبيلة "بُرْزُلة"[1].

إذا عدنا إلى البحث في القبائل البربرية ودراستها نجد أنه توجد قبيلة بربرية تستقرّ في القيروان على عبر التاريخ تسمى "بني برزال" فأزاحوها إلى المعنى "البرزلي"، وهذه القبيلة تعود إلى بطن من بطون قبيلة زناتة الواقعة بأرض المسيلة من بني يفرن التي أصبحت تمثل دويلة صغيرة بالأندلس في مدينة قرمونة التي (459هـ/1067م)، بعد سقوطها انتقل عالمان منها إلى بلاد الشام هما: "زكي الدين البرزلي صاحب المعجم الكبير توفي سنة (636هـ/ 1239م)، أما الآخر علم الدين صاحب المصنفات العديدة وتأليف آخر تاريخ الشام المذيّل به على تاريخ أبي شامة توفي سنة (739هـ 1339م)"[2].

أما الباحثون والمؤرخين لن يقدموا لنا أي دليل على القبيلة التي ينتمي إليها البرزلي إلا أن قدم لنا البلوي إن البرزلي ينتمي إلى قبيلة "بليّ"، ويجب علينا أن لا يهمّنا موطنه أو نسبه بل يهمّنا علمه الذي قدمه للأمة الإسلامية كتراث عريق الذي أضاء لنا الطريق الصحيح والصواب الذي يتمثل في كتابه الفتاوى والذي هو محققا ومنشور حالياً[3].

فمن دراستنا للمادة العلمية التي تناولها المؤرّخون والعلماء والفقهاء أن ولادة البرزلي لم تكن مثبتة بتاريخ معين فمن حيث المقارنة أولنا أن مولده سنة (738هـ/ 1337م)

[1] أبو القاسم البرزلي، فتاوي البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من قضايا المفتيين والأحكام، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م،ج01، ص 05.

[2] المصدر نفسه، ج01، ص 06.

[3] المصدر نفسه، ج01، ص 06.

بالقيروان، والذي عاش حوالي مائة وثلاث سنين من حيث أن اتخذنا وفاته في سنة (841هـ/ 1438م)، أما عن عائلته فلم نجد آثارا عنهم في المصادر التاريخية والفقهية[1].

1.1.1.1. وفاته من خلال المصادر الفقهية والكتابات المنقبية والتاريخية

يرى السخّاوي من حيث نظرته في تحديد تاريخ وفاته: "وأرخ بعضهم وفاته بتونس سنة (844هـ/ 1440م) وبعضهم في التي قبلها" أما القرافي يشاطره الرأي، وإذا عدنا إلى ابن أبي مريم الذي نقل عن السخاوي في قوله: "وذكر بعض أصحابنا وفاته سنة (842هـ/ 1438م)، وكذا رأيته مقيدًا في بعض المواضع، أما أحمد بابا اتبعهما كلاهما في كتابتهم[2].

ويرى الزركشي صاحب تأليف كتاب تاريخ الدولتين: "وفي يوم الخامس وعشرين لذي القعدة من العام المذكور (15 ذي القعدة 841هـ/ 20 ماي 1438م)"، أنه توفي بتونس وكان دفنه بالزلاج، ويتحدث عنه السراج صاحب الحلل السندسية في الأخبار التونسية الذي كتب ونقل من ترجمة البرزلي عن السخاوي والقرافي وأحمد بابا ويورد.

كان الزركشي ينقل ولا ينقد ويمحص أو يرجح، وكذلك اتبعه محمد مخلوف صاحب شجرة النور الزكية، وإذا عدنا إلى محمد بن أبي شنب في "إجازة الفاسي ودائرة المعارف الإسلامية اللذان أشار عن تاريخ وفاته المتفق عليه وهو في سنة (841هـ/ 1438م)، أما المستشرق بروكلمان الذي اتبع رأي الزركشي وثبت رأيه وذكر بأن وفاة الحاج البرزلي" ت (25 ذي القعدة 841هـ/ 20 ماي 1438م) ولا يعترف بأقوال الآخرين.

نرى بعض التعقيبات من فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام مما نزل من قضايا المفتيين والأحكام الذي حققه محمد الحبيب الهيلة قال: "الزركشي مؤرخ تونسي قريب عهد من المترجمَ وهو بالإضافة إلى ذلك قلما يقع في خطأ تاريخي فيما يرويه من الأخبار عن بلده تونس وعن رجالها، السخاوي مصري بعيد الدار اعتمد على روايات شفوية، وهو كثيراً ما يقع في خلط واضطراب فيما يتعلق بتراجم التونسيين والمغاربة، ابن مريم مغربي اعتمد

[1] المصدر نفسه، ج01، ص 07.
[2] المصدر نفسه، ج01، ص 07.

على روايات شفوية وأضاف إليها رأى مقيداً في بعض المواضع تاريخ وفاة البرزلي (ت سنة 842هـ)" ولم يذكر مصدره[1].

فمن شيوخه وأساتذته الذين علموه وتعلم عليهم العلوم نذكر منهم البعض: أبو عبد الله بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي (ت803هـ/ 1401م) له الكثير من التأليف في الفقه والأصول والتفسير والمنطق، أبو عبد الله محمد بن يوسف البلوي الشبيبي القيرواني (ت شهر صفر سنة 782هـ/ 1380م) الذي أخذ عنه القراءات والحديث والفقه والفرائض والنحو والحساب والتنجيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بالخطيب (ت سنة 781هـ/ 1381م) الذي شرح عمدة الأحكام لعبد الغني المقديسي والشفاء للقاضي عياض والأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيلي، أبو الحسن محمد بن أحمد بن موسى البطرني الأنصاري (ت في ذي القعدة سنة 793هـ/ 1391م) له العديد من الفتاوى، أبو العباس أحمد بن مسعود البلنسي القسنطيني المعروف بابن الحاج كان إمام بتونس، أبو العباس أحمد بن محمد بن حيدرة التوزري التونسي (ت في ربيع الأول 778هـ/ 1376م) له الكثير من الفتاوى.

كذلك برهان الدين بن أحمد بن أحمد بن عبد الواحد الشامي الشافعي الضرير (ت في جماد الأول سنة (800هـ/ 1398م) قرأ عليه بجامع الأقمر، أبو القاسم أحمد بن أحمد بن أحمد الغبريني ت (772هـ/ 1370م) له العديد من الفتاوى، أبو العباس أحمد بن إدريس البجائي (ت 760هـ/ 1359م) له كتاب في الفقه، أبو العباس أحمد بن سليمان بن محمد العدناني البرشكي (ت 780هـ/ 1378م) له حواش على رياض الصالحين للنووي، جمال الدين أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد الدناني البرشكي التونسي المالكي ت (816هـ/ 1413م) صاحب كتاب طرد المكافحة[2].

[1] المصدر نفسه، ج 01، ص 08.

[2] المصدر نفسه، ج 01، ص ص9-12.

2.1.1.1. الكتب التي تعلم منها الشيخ البرزلي

تعلم الفقيه البرزلي على الكثير من الكتب الفقهية والقراءات والدراسات القرآنية، وكتب الحديث والفقه والمحدثين، وكذلك كتب التصوف وامداح الرسول صلى الله عليه وسلم، والنحو الإجازات الفنون وكتب السير والمغازي وغيرها من الكتب.

أ- القراءات والدراسات القرآنية

تفسير القرآن على أبي محمد الشبيبي وابن عرفة، قراءة القرآن بالسبع على الشبيبي وابن عرفة وأبي الحسن البطرني وابن الحاجة وأبي عبد الله اليفرني، التسيير في القراءات لأبي عمر والداني على ابن عرفة، الشاطبية الكبرى: حرز الأماني لشاطبي على الشبيبي وابن عرفة وابن مرزوق الخطيب وبرهان الدين الشامي وأبي عبد الله اليفرني، الشاطبية الصغرى: عقلية أتراب القصائد للشاطبي على ابن مرزوق الخطيب، الدرر اللوامع في قراءة نافع لعلي بن محمد الرباطي الشهير بابن بري على ابن مرزوق الخطيب[1].

ب- كتب الحديث

صحيح البخاري على ابن عرفة وأبي الحسن البطرني وابن مرزوق الخطيب وبرهان الدين الشامي وابراهيم الدمشقي ابن الرشام وأحمد البرشكي، صحيح مسلم على الشبيبي وغبن عرفة وأبي الحسن البطرني وابن مرزوق الخطيب وبرهان الدين الشامي وأحمد البرشكي، سنن أبي داود السجستاني على أبي العباس أحمد البجائي البرشكي، سنن النسائي على أبي الحسن البطرني، جامع الترمذي على ابن عرفة، موطأ مالك على الشبيبي وابن عرفة وابن مرزوق الخطيب، الشمائل للترمذي على برهان الدين الشامي، الشفاء للقاضي أبي الفضل عياض على ابن عرفة وأبي الحسن البطرني وابن مرزوق الخطيب وبرهان الدين الشامي وأحمد البرشكي، علوم الحديث لابن الصلاح على ابن عرفة، الأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيلي على أبي الحسن البطرني، الأحكام الكبرى لعبد الحق الإشبيلي على أبي الحسن البطرني، عمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي الجماعيلي على أبي الحسن البطرني وابن مرزوق

[1] المصدر نفسه، ج 01، ص13.

الخطيب، النووي في الحديث على برهان الدين الشامي، حديث الرحمة على أبي الحسن البطرني، حديث وضع اليد على الرأس على أبي الحسن البطرني[1].

ت- أصول الفقه

محصل أفكار المتقدمين لفخر الدين الرازي على ابن عرفة، الإرشاد على قواطع الأدلة للإمام الحرمين على ابن عرفة، كتاب ابن الحاجب في الأصول وهو منتهي السؤال على ابن عرفة وعبد الرحمان البرشكي[2].

ث- فروع الفقه

رسالة ابن أبي زيد القيرواني على الشبيبي وابن عرفة، كتاب التهذيب لأبي سعد البراذعي على الشبيبي وابن عرفة، كتاب الجلاب في الفقه على الشبيبي وابن عرفة، كتاب ابن الحاجب في فروع الفقه على ابن عرفة، المعالم الفقهية للتلمساني على ابن عرفة، الرخصة في تقبيل اليد على أبي الحسن البطرني، كذلك قال الرصاع أن للبرزلي روايات لتآلف الفقهية بسندها على أشياخها[3].

ج- التصوف

أحزاب الإمام الشاذلي على أبي الحسن البطرني، جزء من كلام محمد المرجاني على أبي الحسن البطرني.

ح- أمداح الرسول صلى الله عليه وسلم

البردة للبصيري على أبي الحسن البطرني، الشقراطيسية للشقراطسي على أبي الحسن البطرني.

خ- النحو

الجمل للخونجي على أبي محمد الشبيبي.

---

[1] المصدر نفسه، ج01، ص 14.

[2] المصدر نفسه، ج01، ص 14.

[3] المصدر السابق، ج01، ص 15.

د- فنون مختلفة

أخذ الفرائض والحساب والتنجيم على أبي محمد الشبيبي.

ذ- الإجازات

نذكر بعض الإجازات التي تحصل عليها عن شيوخه: أجازه أبو محمد الشبيبي سنة (766هـ/ 1364م) الذي قال فيه أشهد على ما يحمله، ثم أجازه أبو عبد الله محمد بن عرفة الذي قال كتب له بخطه أن كل ما يحمله ويرويه[1].

ر- رحلاته

ارتحل الشيخ البرزلي إلى بلاد المشرق من أجل أداء مناسك الحج سنة (799هـ/1399م)، بقي هناك سنة حتى سنة (800هـ/1397م) هذا على إجماع المصادر، إذ يؤكد لنا البرزلي في فتاواه "قلت: شاهدت عام حججت وهو عام تسعة وتسعين وسبعمائة وعام ثمانمائة نوعًا مما قال الشيخ ..." الذي اتخذ طريقه نحوي براري برقة، وأيضًا قال: "ولما وردنا على أرض برقة مات من الركب ومرض شيء كثير"، ثم التقى بشيخ صالح أبي عبد الله محمد الدكالي في الإسكندرية، فتحدث معه عن خروجه إلى مصر بسبب عراكه مع ابن عرفة، بسبب أخذ الأجرة عن الإمامة، قال، "وباحثته في المسألة بثغر الإسكندرية"[2].

ز- تلاميذه

تتلمذ على يده العديد من الطلبة نذكر منهم البعض المذكورة في المصادر منهم: أبو القاسم بن ناجي القيرواني ت (837هـ/ 1434م) صاحب تأليف ذيل معالم الإيمان الذي أخذ عنه معن ابن عرفة، وعمر بن محمد بن عبد الله الباجي التونسي المشهور بالقلشاني الحفصي ت (848هـ/ 1444م)، الذي ذكره الرصاع في فهرسته وقال أنه تتلمذ على يدي الشيخ البرزلي له العديد من التأليفات الفقهية، ومحمد بن عمر بن محمد القلشاني أبو عبد الله الذي كان قاضي بتونس وقاضي بجامع الزيتونة وخطيباً بجامع الموحدين حتى أن أتته المنية في شعبان (890هـ/ 1485م).

[1] المصدر نفسه، ج01، ص 15.

[2] البرزلي، المصدر السابق، ج01، ص 20.

وأحمد بن علي العسقلاني الذي عرف بابن حجر عالم عصره وحافظ للقرآن الكريم وله العديد من تأليفات حتى أن توفي سنة (852هـ/ 1449م)، وعبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري من علماء عصره والمؤلفين بعد أن أتته المنية سنة (875هـ/ 1470م)، ومحمد بن القاسم الأنصاري المعروف بالرصاع التلمساني الذي أخذ عن البرزلي، وذكره كثيرا في الفهرست وكان مفتي في الجامع الأعظم ومن مؤلفاته: شرح حدود ابن عرفة وكتاب في أسماء الرسول وشرح البخاري وشرح رسالة أبي عبد الله الظريف الذي توفي سنة (894هـ/ 1489م)، والحلول القروي: أحمد بن عبد الرحمان اليزليتني القروي من فقهاء عصره وعلم طالبه ابن عرفة فتولى القضاء بطرابلس ثم علم في بعض أماكن التدريس حيث كان على قيد الحياة سنة (875هـ/ 1470م).

ومحمد بن أحمد بن عيسى بن فندار القيرواني الذي ألف في الفقه إلى أن توفي سنة (889هـ/ 1884م)، ومحمد البحيري التونسي الذي عمل في منصب قضاء الأنكحة في تونس بعد أن توفي في ذي القعدة سنة (858هـ/ 1454م)، وأبو عبد الله البوسعيدي البجائي الذي اختصر نوازل البرزلي في عنوان الحاوي في النوازل، وعبد الله بن علي الشريف عرف التكودي القيرواني الذي عمل بالقيروان إماما وخطيبا بعد أن توفي سنة (803هـ/ 1401م)، وأحمد بن محمد بن عبد الله التجاني الملقب بابن كحيل التونسي الذي ألف في التصوف والفقه والوثائق حتى أن توفي سنة (889هـ/1484م).

ومحمد بن أحمد بن الحاج يعرف بابن زغدان الذي كان متصوفا وأخذ عن البرزلي بعد ان وفته المنية سنة (882هـ/ 1477م)، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم التريكي التونسي الذي أخذ عن البرزلي وألف في النحو فتوفي سنة (894هـ/ 1489م)، وأحمد بن يونس بن سعيد القسنطيني التونسي المولود في سنة (813هـ/ 410م)، ثم أخذ عن الشيخ البرزلي الذي ألَّف في الفقه ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن توفي في شوال (878هـ/ 1474م)، وعلي العلوي الذي ذكره الرصاع[1].

[1] المصدر السابق، ج01، ص ص 37 - 40.

فكانت علاقة الشيخ البرزلي مع طلبته علاقة حسنة مثل علاقته مع طالبه ابن الناجي الذي أخذ عنه كل شيء فذكره في ذيل معالم الإيمان، فلازمه في كل مكان ثم أخذه للسلطان الحفصي[1].

ومما جاء في نوازل البرزلي من حديث عن الوباء قال: "وهو انتفاخ العصب، ومنها الشظى وهو عظم ناتٍ بالذراع، فإذا تحرك قيل شظى الفرس، ومنها الدحس وهو ورم يكون في أطرة حافره، ومنها الزوائد وهي أطراف عصب تبرق عند العجالة فيقطع عنها ويلصق بها. وفي تفسير آخر هي متولدة من النقرس. والحرد وهو ما كان يصيبه في عرقوبه من ترهل وانتفاخ عصب. والسرطان وهو داء يأخذ في الرسغ حتى ينقلب حافره.

ومنها الارتهاش وهو أن يصل بعرض حافره عرض عجافته من اليد الأخرى فربما أدماها وذلك لضعف يده. والمشش وهو شيء يشخص في رطيفة حتى يكون له حجم ليس له صلابة العظم الصحيح. عياض: هو عيب في قوائمها. قال: ونملة وهو شق في الحافر من ظاهر المرفق، ومنه الانفصال الفاحش لأن الحافر ليس له صلابة غيره، ومنها الرهصة والدبرة إذا لم يعلم بقدرهما، ومن شبكة ومن كل ما يقول أهل الصناعة إنه عيب ردت به كالسوي والمبوس والطنفس والبيض والهاجات والعلو والجهم والبل للمخلات وقطع الرسن والإوناد الزهارة والرفص. والخموع عيب يرد به وهو حفرة بين العنق والحارك تصاب به الدابة، والحرَن والصك عيب ترد به إذا كان شديدًا، فإن كان خفيفًا لم ترد به، والعثار والنفار والشراد فيها عيب إلا أن يكن خفيفًا"[2].

2.1.1. الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت883هـ/1478م)

هو أحد الكتب الفقهية المهمة التي ألفها أبو زكرياء يحيى بن موسى بن عيسى المازوني، الفقيه المالكي الجزائري عاش خلال القرن (09هـ/15م) فيعد هذا الكتاب من المصنفات الفقهية التي اهتمت بجمع الفتاوى والنوازل الفقهية التي وقعت في مدينة مازونة التي

[1] المصدر نفسه، ج01، ص 41.

[2] المصدر نفسه، ج3، ص ص292-293.

تعتبر إحدى الحواضر الإسلامية العلمية البارزة في بلاد المغرب الأوسط، فيتناول هذا الكتاب المسائل الفقهية العملية التي طرحت في عصر المألف مستندًا إلى المذهب المالكي، حيث يعالج القضايا المتعلقة بالعبادات، والمعاملات، والأحوال الشخصية وغيرها من المسائل التي واجهها القضاة والمفتون في ذلك الوقت، وقد اتسم بأسلوب فقهي دقيق يعتمد على الاجتهاد الفقهي المالكي، والاستشهاد بأقوال الأئمة المشهورين مثل ابن رشد والونشريسي، والقرافي.

1.2.1.1. المازوني: الدرر المكنونة في نوازل مازونة

أبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت883هـ/1478م)[1]: هو الفقيه يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني، اقتصر الفقهاء والمؤرخين والباحثين على اسمه فقط إلا ابن مريم صاحب البستان الذي ذكر كنيته ونسبه لأبيه إدريس المازوني أي أبو زكريا ابن إدريس المغيلي المازوني[2].

وجاء في دراسة توصيفيه تحليلية مهمّة حول المازوني زودتنا بتعريف عنه وحياته، فهو يحي بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني، حيث لقب بأبو زكريا في كتب التراجم، وهو الإسم الذي وجد على وجه الورقة الأولى في كل نسخ المخطوطات، حيث أشتهر بالفقيه والقاضي والمقرئ والمدرس[3].

[1] مختار حساني، مختار حساني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبو زكرياء يحي المغيلي المازوني، ج1، مخبر المخطوطات، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2004، ص 9.

[2] إسماعيل بركات، الدرر المكنونة في نوازل مازونة أبو زكرياء يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني (883هـ/ 1478م)، عبد العزيز فيلالي، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وأثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009 – 2010، ج 01، ص 129.

[3] نورالدين غرداوي، كتاب الجامع للقاضي أبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني "المتوفي سنة 833هـ / 1478م" (الجزء الرابع من ديوان الدرر المكنونة في نوازل مازونة) دراسة وتحقيق، عبد العزيز محمد لعرج، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، ج01، 2010 – 2011م، ج01، ص 57.

أ- نسبه ومكانته

إن الفقيه أبي زكرياء يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني لا تزال أخباره عنه ونسبه وحياته غامضة عند بعض الكتاب والمؤرخين والفقهاء، رغم أن كان أبوه أبو عمران موسى بن يَحي المغيلي المازوني قاضيا في مدينة مازونة، ولم يقدم له في تأليفه تعريفا كافيا، لأن أبوه كان ينحدر من أسرة علمية ودراسة اجتماعية وقلد العديد من الرتب[1].

ب- مولده ونشأته

إن بعض المصادر جعلوا كتابتهم يتيمة بتاريخ الشيخ أبو عمران موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني أنه ولد خلال القرن (09هـ/ 15م)، أما يحي المازوني الذي ينتسب إلى إحدى قبائل بطون زناتة البتر من مغيلة التي تنتمي إل بطون بني فاتن التي تقع في مصب نهر شلف حتى مناطق مازونة، بضواحي مدينة تلمسان[2]، أما وفاته فكانت سنة (883هـ/ 1478م)[3].

كما نعلم أن الدولة الزيانية عاشت ظروف صعبة خلال الفترة الممتدة ما بين القرن (07-09هـ/ 13–15م) التي لم تسمح للفقهاء والباحثين في مواصلة كتاباتهم الفقهية النوازلية، لكن الشيخ يحي المازوني الفقيه الذي لم يتوقف عن الكتابة الفقهية في عهد السلطانين أبي مالك عبد الواحد بن أبي حمُّو (814– 827هـ/ 1412– 1424م) والسلطان أبي العباس أحمد العاقل (834– 866هـ/ 1431- 1462م)[4].

يذكر المؤرخون والفقهاء أن مدينة مازونة أصبحت تعج الباحثين والفقهاء بعد تأسيس فيها عدة مراكز ثقافية منها الجامع والمساجد والزوايا والكتاب والمدارس وقاعات المناظرات وغيرها من المراكز الثقافية[5]، فهذه المدينة أصبحت تمثل إشعاع حضاري بالنسبة للعاصمة الزيانية وهي تلمسان التي أصبحت منبعا للتراث الحضاري والثقافي في جل المجالات اليومية

[1] إسماعيل بركات، المرجع السابق، ج 01، ص 130.
[2] المرجع نفسه، ج01، ص ص 131 – 132.
[3] نورالدين غرداوي، المرجع السابق، ج01، ص 61.
[4] إسماعيل بركات، المرجع السابق، ج01، ص 133.
[5] مختار حساني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبو زكرياء يحي المغيلي المازوني،ج1، المرجع السابق، ص 11.

للإنسان، ويتغذى منها الإنسان روحيا وجسديًا من علم وثقافة وصناعة وحرف وتجارة وغيرها من المجالات[1].

إن الونشريسي صاحب المعيار وصف الشيخ المازوني بأنه يتميز بطابع أخلاقي ديني سني ويحكم بما جاء في كتاب الله عزى وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وحكم بالعدل عندما تولى القضاء بمدينة تونس، وكان يطلب العلم من شيوخه مثل أبو الفضل قاسم العقباني، كما ذكره شيخه ابن مرزوق الحفيد "أيها البحر الزخَّار، وبقية العلماء النظَّار في تلكم الأصقاع والقفار، ولولا وجود مثلكم فيا لخلت تلك الديار، وصارت إلى ما صارت إليه جهاتهَا كالقفار"[2].

ومن حيث مؤلفاته و وفياته يذكر بركاتي إسماعيل أن لم يترجم له المؤرخين إلا البعض منه وقدم مصنفه الدُّرر المكنونة في نوازل مازونة، أما تاريخ وفاته (883هـ/ 1478م)، وقبره بحارة الرحيبة الذي لا يبعد عن باب الحياد الحالي[3].

ت- قرأ ودرس عند مجموعة من الفقهاء

- أبو عبد الله محمد بن محمد بن حماد بن عرفة الورغمي التونسي ت (803هـ /1401م).

- أبو عمران موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني ت (833هـ/ 1429م).

- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق بن الحاج العجيسي التلمساني الملقب بالحفيد ت (842هـ/ 1439م).

- أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمان المغراوي الخزري التلمساني الملقب بابن زاغو ت (845هـ/ 1441م).

- أبو الفضل قاسم بن سعيد بن محمد العقباني المعروف بالتلمساني ت (854هـ/ 1450م).

---

[1] نورالدين غرداوي، المرجع السابق، ج01، ص 62.

[2] إسماعيل بركات، المرجع السابق، ج 01، ص ص 137 – 138.

[3] المرجع نفسه، ج01، ص 139.

– أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن عيسى الملقب بابن العباس ت (871هـ/ 1466م).

–فهذا الفقيه المازوني تعلم عليه ودرس العديد من الطلبة الذين تعلموا الفقه عنه، والمصادر لم تذكر الكثير منهم فنذكر البعض:

– أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي ت (914هـ/ 1508م)[1].

ث- نشأته حياته العلمية

تولي المازوني منصب القضاء في عزِّ شبابه بعد أن توفي أبوه فخلفه لأنه كان من خيرة الشباب في تلك الحقبة وهو أهل لهذا المنصب الذي غاب صاحبه، فتعرض للكثير منا المشاكل إلى أن قال: "فإني لما امتحنت بخطة الفصل في عنفوان الشباب، وقادني إليها ما يعلمه الله من الأمور الصعاب، وكثرت عليَّ نوازل الخصوم، وتوالت لديَّ شكليات المعلوم ..."، فاعتلى هذا المنصب لأنه تتلمذ على يدي مشايخ المالكية وتعلما أصول الفقه والفتوة عليهم وخطة القضاء، لهذا تقلد هذا المنصب سواء في مازونة أو تنس.

ج- التدريس والإقراء والتعليم

أنه كان محبا لطلب العلم والتدريس والإقراء ومما ذكر أن الشيخ المازوني اشتغل بالتعليم والتدريس مثل باقي الفقهاء والمشايخ الأخرون، حتى نثبت أنه كان صاحب مجالس واستقراء فنادى أحد معاصريه هو محمد العقباني حيث قال: "... أعرف كمالكم أنني أردت أن أعرض عليكم بعض ما يعرض لي للنظر في ذلك بنظركم ... منها أن أبا عمرو الداني ... استشكل بعض الطلبة قوله..."[2].

من الأسباب التي جعلته يألف هذا الكتاب هي الصعاب والمشاكل التي تلقاها في القضاء الذي عمل عليه في عز شبابه بعد وفاة أبيه، الذي كتب فيه جميع المسائل والخصوم والصعاب التي تلقاها في القضاء وكذلك جمع ما كتبه أبيه في حياته، والمسائل التي كانت

[1] نورالدين غرداوي، المرجع السابق، ج01، ص 62.
[2] المرجع نفسه، ص 68.

تطرح في مجالسه والاستقراء للمسائل الصعبة، كذلك كتب ما تلقاه عن أشياخه في التدريس، وجميع هذه المسائل والعلوم الفقهية التي جمعها كتبها في كراريس المسودة وبعد الانتهاء من الجمع رتبها في كتاب وسماه الدرر المكنونة في نوازل مازونة.[1]

يعتبر تأليف الدرر المكنونة في نوازل مازونة لصاحبه الشيخ أبو زكرياء يحي المازوني من الكتب الفقهية النوازلية التي اشتهرت في العصر الوسيط خلال القرنين (07-08هـ/ 13-14م)، ذكر الشيخ الفقيه المازوني أن تأليفه لهذا الكتاب يعود لسبب الفتن والمشاكل الطبيعية والبشرية التي طرحت عليه من طرف الناس، خاصة أنه مارس القضاء[2].

هذا التأليف مثل كتب النوازل الفقهية للونشريسي والبرزلي وابن الحاجب وغيرهم من الفقهاء الذين تحدثوا عن الجوانب الحضارية والجوائح الطبيعية والبشرية، فالجزء الأول الذي يحتوي على تسعة عشر فصل والمعنون بعنوان الدرر المكنونة في نوازل مازونة الذي ألفه المازوني يحتوى على مقدمة التي بدأ في بدايتها بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم عرف العلم والعلماء وكتابه والدعاء في الأخير.

نذكر هذه الفصول التي اعتد عليها الشيخ الفقيه المزوني:

- مسائل الطّهارة.
- مسائل الصّلاة.
- مسائل الزّكاة.
- مسائل الصِّيام.
- مسائل الإعتكاف.
- مسائل الحج.
- مسائل الصّيد.
- مسائل الذّبائح.
- مسائل الضّحايا العقيقة.
- مسائل الجهاد.

---

[1] نورالدين غرداوي، المرجع السابق، ج01، ص 71.

[2] مختار حساني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبو زكرياء يحي المغيلي المازوني،ج1، المرجع السابق، ص 10.

- مسائل الإيمان والنذّر.
- مسائل الأنكحة[1].
- مسائل الطّلاق.
- مسائل الإيلاء واللِّعان والظِّهار.
- مسائل العدد.
- مسائل الرِّضاعة.
- مسائل النَّفقات.
- مسائل البيوع.
- الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[2].

هذا الجزء الأول الخاص بالشيخ الفقيه المازوني الذي كان فقيها واشتغل بالقضاء، وحكم بين الناس بما أنزل الله سبحانه وتعالى.

حيث عالج العديد من المسائل الخاصة بأحوال الناس من الظلم والعصب والنهب والضغط وحل الضرار وتذبذب النظام وشاع العنف وكثرة النهب والسرقة والقتل والنزاعات والغارات والاضطهاد والتعسف وغيرها من مشاكل العنف، ومنها الجوائح الطبيعية والأوبئة والمجاعات...الخ.

بعد انتهائه من الجمع والكتابة شكل كتابه في أربعة أجزاء منها:

- الجزء الأول "خاص بالنكاح".
- الجزء الثاني "كتاب الضرر والخصومات والدعاوي".
- الجزء الثالث "خاص بالوصية".
- الجزء الرابع "كتاب الجامع"[3].

[1] نور الدين غرداوي، المرجع السابق، ج01، ص 72.
[2] بركاتي إسماعيل، المرجع السابق، ص 189.
[3] نور الدين غرداوي، المرجع السابق، ص 72.

3.1.1. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (834-914هـ / 1430-1508م)

يعد كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب هو موسوعة فقهية بارزة في المذهب المالكي صنفها الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت914هـ/1508م) أحد كبار الفقهاء المالكية في المغرب الإسلامي، يجمع هذا الكتاب بين دفتيه فتاوى ونوازل فقهية صدرت عن علماء المالكية في بلاد المغرب والأندلس وإفريقية مما يجعله مصدرًا غنيًا لدراسة تطور الفقه المالكي في بلاد الغرب الإسلامي.

فيعتبر هذا الكتاب من أوسع الكتب الفقهية التي تعكس طبيعة الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية في العالم الإسلامي الغربي خلال العصور الوسطى، فيتناول قضايا فقهية متعددة مثل العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية (الزواج، الطلاق، الميراث) والنوازل الفقهية والقضاء والعرف وأثاره في التشريع الإسلامي كما يمثل الكتاب مرجعًا تاريخيًا وفقهيًا مهمًا لأنه يعكس اجتهادات الفقهية والعادات السائدة في المجتمع المغربي والأندلسي، مما يجعله مصدرًا لدراسة الفقه المالكي وتطور الفتوى عبر الزمن.

1.3.1.1. نشأته ومولده ونسبه

عندما نذكر النوازل فأوّل ما يتبادر إلى أذهاننا أحمد بن يحي الونشريسي وهو: أبي العباس أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي التلمساني ولد بجبل ونشريس حوالي سنة (834هـ/914م)[1]، وتوفي سنة (914هـ/1508م)[2]، وعمره يناهز ثمانين سنة الذي نشأ بمدينة تلمسان في ظل دولة بني عبد الواد، وكان من علماء وفقهاء عصره ومالكي المذهب[3]، واسمه الكامل: أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي

[1] مسعود كربوع، نوازل النقود والمكاييل والموازين في كتاب المعيار للونشريسي جمعا ودراسة وتحليل، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012–2013، ص 22.

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى، قسم2، دار البيضاء للكتاب، الإسكندرية، 1955م، ج 04، ص 160.

[3] كمال الدين أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال النوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، دار الإسكندرية، مصر، 1996م، ص 05.

الونشريسي، العالم العلامة حامل لواء المذهب على رأس المئة التاسعة، ومن شيوخه أبي الفضل العقباني[1]،ومحمد بن عيسى الجلاب[2]، وقاسم بن سعيد بن محمد العقباني، وإبراهيم العقباني قاضي تلمسان[3]، ومحمد بن العباس وابن مرزوق الكفيف[4]، الذي انتهبت بيته سنة (874هـ/ 1469م) من الحاكم أبو ثابت الزياني صاحب تلمسان، لأنه كان صاحب حقٍ لا يخاف لومة لائم، فارتحل إلى فاس وسكن فيها، ثم شرع في تدريس مدونة الإمام مالك والفقه المالكي، الذي كان فصيح اللسان والقلم، حيث أخذ عنه ابن مليح اللمطى وأبو زكرياء السوسي والقاضي ابن الغرديس التغلبي[5]، ثم شرع في تأليفه المعيار عن فتاوى فاس والأندلس، وكتاب (إيضاح المسالك إلى قواعد مذهب مالك)، أما إفريقيا وتلمسان كتب عنها وألف فيها المازوني والبرزلي[6]، أما تعليق ابن الحاجب الفرعي "غنية المعاصر" و"التالي على وثائق القشتالي" و"المواعد في الفقه" و"الفرق في مسائل الفقه"[7].

2.3.1.1. حياته العلمية

يظهر محقّق مخطوط شفاء السائل وتهذيب المسائل لعبد الرحمان ابن خلدون، هو أحمد بن يحي بن محمد عبد الواحد الونشريسي الذي ولد سنة (834هـ/ 1430م) في جبال الونشريس الواقعة غرب الجزائر، ثم أخذ علمه من علماء مدينة تلمسان التي نشأ فيها ثم انتقل إلى القرويين بفاس من أجل تعلمه للفقه المالكي، ثم تخرج على يده العديد من الطلبة منهم ولد عبد الواحد قاضي فاس ومفتيها، وله الكثير من التأليف في الفقه المالكي،

[1] أحمد بابا التنبكتي (ت963هـ/1036م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله الهرّامة، دار الكتاب، طرابلس، 1999م، ج3، ص 135.

[2] محمد أمين بوحلوفة، أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي، بوركبة محمد، تاريخ وحضارة إسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2013-2014م، ص 46.

[3] كمال الدين أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 05.

[4] محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تح: خير الدين، دار كردادة، الجزائر، 2013م، ج02، ص 558.

[5] كمال الدين أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 06.

[6]ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمر أبو الثور، دار الكتب، الجزائر، 1971م، ج01، ص 92.

[7] محمد الحفناوي، المرجع السابق، ج02، ص 558.

إلى أن وافته المنية بفاس سنة (914هـ/1508م)، أما ترجمته : "دوحة الناشر لابن عسكر ص 47، فهرست أحمد المنجور ص 50، نيل الإبتهاج ص 87، مقدمة المعيار المعرب ص أ -ك طبع بالمغرب- وزارة الأوقاف (1401هـ/1981م)[1].

يذكر لنا محقّق المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق في تعريف بالونشريسي، أنه أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، الذي عرف نفسه في تأليفه بعد أن أوضحته جل المصادر والمراجع التي عرفته، لذلك اشتهر بأبي العباس الونشريسي[2]، أما إذا عدنا إلى ذكر مولده ونشأته واطلاعنا على المادة العلمية التي جمعناها وتتحدث عن الونشريسي تذكر أنه من مواليد (834هـ/ 1430م)، وتوفي سنة (914هـ/ 1508م)، فمن هذا التاريخ نلاحظ أن عمره يناهز الثمانين سنة، وهو من تلمسان التي ترعرع فيها[3].

وتميزت أسرة أبي العباس أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي بالعلم وثقافة والمكانة القوية، وبدراسة لبعض الكتب نرى أن والد الونشريسي لم يكن من أهل العلم لأن بعض المراجع تنكر بأنه من أهل العلم، بل أنه له مكانة اجتماعية فحسب، أما المكانة العلمية لأبنه الونشريسي، وإذ عدنا للمصادر يصفونه من أهل العلم أن هذه لغة خطاب المؤرخين والعلماء المعاصرين له فقط[4].

أما والدته وزوجته لم نتوصل إلى معلومات عليها رغم شهرة الونشريسي ومعرفته عند الناس وقيمته العلمية والاجتماعية، الذي نشط في جميع الفنون وعقد الشروط والوثائق والكتابات السلطانية[5]، فتحصلنا على معلومة فقط عن زوجته "أنه تزوج قبل رحلته إلى

---

[1] محمد بن عسكر الحسني الفشاوني، دوحة الناشر، تح: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1977، ص47.

[2] فؤاد طوهارة، المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، تخصص علم المخطوط العربي، عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010 – 2011م، ص 161.

[3] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص 44.

[4] فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص 162.

[5] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص 45.

فاس ببضع سنوات، وأنجب ولده عبد الواحد بفاس بعد (880هـ/ 1475م)، من زوجته التي لا نعلم عن اسمها ونسبها شيئا، ولا عن مكانتها الاجتماعية والثقافية"[1].

إذا عدنا إلى حياته العلمية[2]،بعد أن انعدم الأمن في جبال الونشريسي انتقل مع أسرته إلى مدينة تلمسان، وكان حاكم تلمسان أبو العباس أحمد العاقل بن أبي حمّو الثاني (834-866هـ/ 1430- 1461م)، "الذي أظهر من حسن السيرة والعناية بنفسه ما أكسبه عطف الرعية وإجماع الناس عل مودته فأظهر بأسه للحفصيين وأعلن رفض عهدهم سنة (837هـ-1433م) فتحرك لقتاله السلطان أبو فارس عبد العزيز الحفصي (796- 837هـ/ 1394-1433م)، فاحتل جبل ونشريس قهرًا وأنظم أهله تحت طاعته، ثم ما كاد يتصل بتلمسان حتى وافاه أجله"[3].

هذا العالم الفقيه المهتم بالعلوم والتدريس تخرج على يديه العديد من الفقهاء فنستطيع ذكر البعض منهم: "أبو عبد الله محمد بن محمد الغرديسي التغلبي القاضي، كانت له خزانة عامرة بالتأليف والفتوى أفاد بها معلمه أحمد بن يحيى الونشريسي في تأليفه لكتابه "المعيار المعرب"، الفقيه أبو زكرياء يحي بن مخلوف السوسي، كان إماما عالما توفي عام (927هـ/ 1520م)، عبد الواحد بن أحمد بن يحي الونشريسي، تتلمذ على أبيه وتولّى الإمامة والقضاء والفتوى، ولقب بشيخ الجماعة وخلف أباه على كرسي "المدونة" بجامع القراويين بفاس، وأبو محمد الحسن بن عثمان التاملي الجزولي ت (932هـ/ 1525م)[4].

3.3.1.1. تأليفه العلمي

- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب
- أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاج

[1] فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص 163.
[2] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص 45.
[3] فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص 163.
[4] مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 27.

- إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك[1].
- إضاءة الحلك والمرجع بالدرك على من أفتى من فقهاء فاس بتضمين الراعي المشترك[2].
- المنهج الفائق، والمنهل الرائق، والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق.
- الأجوبة والتعريف "بالمسائل القلعية"[3].
- الوفيات ذيل به كتاب شرف الطالب في أسنى المطالب ابن قنفذ.
- الولايات وتناول فيه الخطط الشرعية في سبع عشرا ولاية وهو مطبوع[4].
- الأسئلة والأجوبة.
- تنبيه الطالب الدارك، على توجيه الصلح المنعقد بين ابن صعد والحباك[5].
- نظم الدرر المنثورة وضم الأقوال الصحيحة المأثورة[6].
- فهرسته.
- عدة البروق في جمع ما في المذهب من المجموع والفروق[7].
- الفوائد المهمة.
- شرح الخزرجية في العروض.
- الوعي لمسائل الإنكار والتداعي[8].
- تعليق على كتاب الأعلام القريب النائي في بيان الخطأ[9].

[1] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص ص 48 – 49.
[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص 334.
[3] ابن مريم، المصدر السابق، ص 271.
[4] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص 50.
[5] الونشريسي ، المصدر السابق، ج6، ص ص 541 -543 -574.
[6] المصدر نفسه، ج1، ص ص 574 – 575.
[7] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص 51.
[8] الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص3.
[9] المقري، المصدر السابق، ج1، ص4.

جمع فيه من أجوبة متأخري العصر ومتقدميه وما يعسر الوقوف على أكثره في أماكنه، واستخراجه من مكامنه، لتبدُّده وتفريقه، ... وصرحت بأسماء المفتيين إلا في اليسير النادر".[1]

إلى أن أصبح هذا الكتاب جامعا لكل الفتاوى الشرعية لأهل بلاد المغرب الإسلامي، فتناول فيه الفقيه أحمد الونشريسي كل الأحداث والنوازل الفقهية التي عرفها عصره أو الفترة التي سبقته في شتى مجلات الحياة.

هذه النوازل والفتاوى اعتمد فيها الفقهاء على الفقه المالكي، حيث نجد الفقهاء استنبطوا اجتهاداتهم الفقهية من الأمهات أو المختصرات في الأصول والفروع المتعلقة بالمذهب المالكي، لسبب انتشار المذهب المالكي ونوازله وثائقه في بلاد إفريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى وبلاد الأندلس[2]، من بداية القرن الثالث هجري حتى القرن التاسع هجري[3]، وكذلك أصبحت تآليف الفقهاء المالكية ذات قوة فقهية نوازلية بارزة في هذه المنطقة التي اتسع فيها الفقه المالكي، الذي أتى إلى بلاد المغرب الإسلامي عبر الفقهاء المشارقة الذين كتبوا عن المذهب المالكي[4]، كذلك أعتمد على فتاوى أو نوازل الفقيه الشيخ أبي القاسم البرزلي القيرواني (ت 844هـ/ 1440م)[5].

فهذا الكتاب الضخم الذي طبع في فاس، 12 جزء استمدّ في تأليفه من نوازل مازونة ونوازل البرزلي وفتاوى فقهاء أهل فاس والأندلس، فكشف فيه عن الغموض الذي غطى الجوانب الحضارية لمنطقة المغرب الإسلامي ككل، حيث قام إيميل آمار E.Amar بتحليل هذه الفتاوى تحليلا عاما في نشرية الأرشيف المغربي Archives Marocaines مجلد، 12 و 13 باريس (1326– 1327هـ/ 1908م–1909م)، ص 522، ص 536[6].

---

[1] أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي (ت 914هـ/ 1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تح محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، الرباط، بيروت، 1981م، ج 01، ص 01.

[2] كمال الدين أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 07.

[3] مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 33.

[4] محمد حجي، المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، ندوة الإمام مالك، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار الهجرة، فاس، 1980م، ص 130.

[5] كمال الدين أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 07.

[6] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص 54.

يذكر التنبكتي في تأليفه نيل الابتهاج ترجمة لأحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، الذي تفقه في المذهب المالكي إلى أن علم بأصوله الدقيقة، كذلك أخذ عن شيوخ تلمسان منهم: أبي الفضل قاسم العقباني، وأبي عبد الله الجلاب، وابن مرزوق الكفيف، والغرابلي وغيرهم.[1]

بعد أن نهبت داره وفر إلى فاس قال فيه أحمد المنجور في فهرسته: "وأوكب على تدريس المدونة وفرعي ابن حاجب"، حتى أصبح من أهم الفقهاء وتخرج على يده الكثير من الطلبة منهم: ابن الحاجب وأبي عباد بن مليح اللمطي، وكذلك استفاد في تأليفه لكتاب المعيار المعرب من خزانة آل الغرديس الموجودة في فاس، فنعود إلى الفتاوى[2] التي أفتى بها في بلاد إفريقيا وتلمسان، واكتماله لتأليف المعيار المعرب، اعتمد فيها على فتاوى البرزلي "جامع مسائل الأحكام" ونوازل يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى المغيلي (883هـ/ 1478م) الموسومة بـــ "الدُّرر المكنونة في نوازل مازونة".[3]

يذكر لنا الباحث مسعود كربوع بأن الونشريسي لم يقدم لنا تاريخ تأليفه لكتاب المعيار المعرب، ولا حتى المؤرخين الذين جاءوا بعده، إلا أن أحمد النيفر المؤرخ التونسي قال: "... والاستفادة من مكتبة آل الغرديسي بفاس، فاستخرج منها مادة مجلداته الاثنا عشر التي شرع فيها سنة (890هـ/ 1485م) ..."[4]، أما إتمام ونهايته من كتاب المعيار ذكره بنفسه حيث قال: "وكان الفراغ من تقييده مع مزاحمة الأشغال، وتغيير الأحوال، يوم الأحد الثامن والعشرين لشوال عام واحد وتسعمائة"[5].

---

[1] كمال الدين أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 07.

[2] أحمد بابا التنبكتي (ت963هـ/ 1036م)، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله الهرَّامة، دار الكتاب، طرابلس، 1999م، ص 135.

[3] المازوني: هو "يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى المازوني"، الذي كان قاضي فيها ومفتيا لأهلها، بعد أن أخذ عن فقهائها منهم: ابن مرزوق الحفيد والقاسم العقباني وغيرهم، ثم ألف نوازله المشورة التي سماها بالدرر المكنونة في نوازل مازونة، حتى أن أتته المنية سنة (883هـ) بتلمسان، بعد أن لقب بالفقيه الفاضل. أنظر/ التنبكتي، المصدر السابق، ص 637، والزركلي، الأعلام، ج 08، ص 115.

[4] مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 33.

[5] أحمد بابا التنبكتي (ت963هـ/ 1036م)، المصدر السابق، ص ز.

ويتبين لنا بعد سقوط غرناطة بثلاث سنوات، أخرج كتاب المعيار على حساب قول أحمد منجور بعد ترجمة السكتاني الذي كتب عن أبي العباس الونشريسي وهو أول من أخرجها، أما محمد حجي يذكر بأنه أخرجه أحمد بن سعيد المجليدي الفارسي (1094هـ/ 1683م) وشخص آخر معه، لهذا يوجد تناقض بينهما، ومن الممكن أن محمد حجي يقصد هذين الفقيهين جمعاه في كتبٍ واحد لا أخرجاه[1]، لكن الونشريسي لم ينتهي من الإضافات بعد، ففي سنة (991هـ/ 1583م) أضاف بعض الأشياء في احدى الأبواب، ورغم هذا بقيت بعض التعديلات على حساب الدكتور محمد حجي[2].

وأول طبعة لتأليف المعيار على حساب محمد حجي في فاس سنة (1314هـ-1897م)، من طرف ثمانية فقهاء على رأسهم ابن العباس البوعزاوي الفاسي بمطبعة الحجرية لي 12 جزء، حيث يحتوي ألفين وخمس وثلاثين فتوى من فقهاء عصره، والتي تخص بلاد المغرب الأوسط، منهم المازوني والبرزلي[3].

وتفيد دراسة متخصصة أنّ تأليف المعيار للونشريسي كان عبارة عن تجمع أكبر مادة علمية، واستدل على ذلك بأن سماه الجامع المغرب، كذلك انتقده بعض المؤرخين، حيث قال: يرى الحجوري "أن كتاب المعيار المشتمل على فتاوى فقهاء المغرب والأندلس وإفريقية، جمع فأوعى وهو من التأليف ذات الشأن عند فقهاء الوقت، على ما فيه من ضعف بعض الفتاوى"، فإذا عدنا إلى أحميدة النيفر نجد رأيه عكسه تماما "لم يقتصر على جمع ألفين ومائة وخمس وثلاثين فتوى، أصدرها رجال فقهاء معاصرون له وآخرون متقدمون عليه، بل عمد إلى تصنيفها والتعليق عنها، والتأصيل اللازم أحيانا، هذا إلى جانب ميل أكيد إلى الترجيح والتضعيف والقبول والرّد"، لهذا أصبحت المكانة العلمية لكتاب المعيار وتم اعتماده من طرف الفقهاء بعد وفاة الونشريسي[4].

[1] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص 56.
[2] أحمد بابا التنبكتي (ت963هـ/ 1036م)، المصدر السابق، ص ح.
[3] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص ص 55 – 56.
[4] مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 34.

وضمن هذا الإطار نستطيع القول أنه إذا درس الباحث المعيار المعرب دراسة علمية يستطيع الوصول إلى فهم تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وكذلك معرفة الظواهر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والدينية، رغم أن كتب التاريخ توصلت إلى هذه الجوانب لكن كتب النوازل الفقهية تخصصت فيها مثل: تحدث النوازل الفقهية عن العادات والتقاليد والأعراف وعن الحيات الأسرية والاحتفالات والأعياد والأزياء والأطعمة والعلم والشخصيات البارزة[1]، فهذا التأليف يعد لنا ثروة كبيرة من العلوم والتشريعات الإسلامية لهذه المنطقة.

فمن هذه الثروة العلمية التي خلفها الونشريسي استفاد منها أحمد بابا التنبكتي[2]، من حيث 12 جزء وكل جزء يحتوي على ثروة علمية هائلة نذكر منها:

الجزء الأول: تعريف بالونشريسي وتأليفه، ونوازل الطهارة، ونوازل الصلاة، ونوازل الجنائز، ونوازل الزكاة، ونوازل الصيام، ونوازل الاعتكاف، ونوازل الحج[3].

الجزء الثاني: نوازل الصيد والذبائح والأشربة الضحايا، ونوازل الإيمان والنذر، ونوازل الدماء الحدود والتغريرات[4].

الجزء الثالث: نوازل النكاح[5].

الجزء الرابع: نوازل الخلع والنفقات والحضانة والرجعة، ونوازل الإيلاء والظهار واللعان، ونوازل التمليك والطلاق والعدة والاستبراء[6].

---

[1] كمال الدين أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 08.

[2] التنبكتي: هو أحمد بابا التنبكتي السوداني الصنهاجي الشيخ الفقيه المؤلف الكبير المصنف العلم الطائر الصيت، الذي ألف ما يفوق عن أربعين تأليف منها: نيل الابتهاج في تطريز الدباج، الذي ولد سنة (963هـ/ 1555) وتوفي في شهر شعبان سنة (1024هـ/ 1615م)، في مدينة تنبوكتوا. أنظر/ أحمد بن محمد المقري، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر ما لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، الملكية، الرباط، 1983م، ص ص 104 – 105. وابن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ص 298.

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج01، ص ص01، 03، 118، 306، 364، 410، 430، 432.

[4] المصدر نفسه، ج02، ص ص05، 47، 267.

[5] المصدر نفسه، ج03، ص05.

[6] المصدر نفسه، ج04، ص ص03، 59، 79.

الجزء الخامس: نوازل المعاوضات والبيوع[1].

الجزء السادس: مسألة من الوصايا وقعت ببجاية، ونوازل والرهن والصلح والحمالة والحوالة المديان والتفليس، تأليف أحمد الونشريسي صاحب المعيار[2].

الجزء السابع: نوازل الأحباس[3].

الجزء الثامن: نوازل المياه والمرافق، ونوازل الشفعة والقسمة، والإيجارات والأكرية والصناع، أسئلة مجموعة في السماسرة، وبقية نوازل المياه، والضرر والبنيان[4].

الجزء التاسع: بقية نوازل الضرر، ونوازل الوديعة والعارية، ونوازل الهبات والصدقات والعتق، ونوازل الوصايا وأحكام المحاجير، والغضب والإكراه، ونوازل الاستحقاق[5].

الجزء العاشر : نوازل الأقضية، ونوازل الشهادات، والدعاوى والإيمان، ونوازل الوكالات والإقرار و المديان[6].

الجزء الحادي عشر: نوازل الجامع[7].

الجزء الثاني عشر: نوازل توابع الجامع، وكتاب فتح الباب ورفع الحجاب بتعقيب ما وقع في تواتُر القرآن من السؤال والجواب، في بيان تواتر القرآن والفرق بين القرآن والقراءات، سؤلات من التفسير وغيره، سؤال في علم التصوف، مسائل التفسير، فهذا الجزء تحدث فيه عن احكام الجامع والقراءات وتواتر القرآن الكريم والتفسير ومسائله وعلم التصوف[8].

الجزء الثالث عشر: هذا الجزء ألفه أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي ت (914ه/ 1508م)، خاص بالفهارس من وضع الأساتذة محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال ومحمد العرائشي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية الرباط، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان (1401ه/ 1981م)، الذي يضم مجموعة من الفهارس العامة نذكرها:

---

[1] المصدر نفسه، ج05، ص ص05.

[2] المصدر نفسه، ج06، ص ص05، 490، 574.

[3] المصدر نفسه، ج07، ص 05.

[4] المصدر نفسه، ج08، ص ص05، 83، 221، 355، 379، 435.

[5] المصدر نفسه، ج09، ص ص05، 75، 124، 243، 537، 583.

[6] المصدر نفسه، ج10، ص ص05، 143، 229، 313.

[7] المصدر نفسه، ج11، ص 5.

[8] المصدر نفسه، ج12، ص ص05، 76، 148، 263، 293، 323.

جرد مفردات الفهرس الأبجدي العام، وفهرس أبجدي عام للموضوعات الفقهية، وجرد مفردات فهرس نوازل الجامع، وفهرس أبجدي لنوازل الجامع، وجرد مفردات فهرس الإشارات التاريخية والاجتماعية، وفهرس أبجدي للإشارات التاريخية والاجتماعية، وفهرس أعلام الأشخاص والقبائل والأمم والفرق، فهرس الأماكن، وفهرس الكتب الواردة في متن المعيار، واستدراكات وتصويبات[1].

كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب الذي ألفه أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي المتوفى بفاس سنة (914هـ/ 1508م)، يحتوي على ثروة علمية هائلة خاصة بفتاوى أهل إفريقية والمغرب الإسلامي خاصة بلاد المغرب الأوسط، حيث أمر صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بطبع هذا الكتاب بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري، فأخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي في ثلاثة عشر جزء، ونشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، ودار الغرب الإسلامي، بيروت، لصاحبها الحبيب اللّمسي ص. ب 5787/ 113، سنة (1401هـ/ 1981م).

تعدّدت مسائل نوازل المعيار التي تتعلّق بتفاصيل الجوائح المرتبطة بالعوامل الجغرافية لوقوع بلاد المغرب الأوسط ضمن أقاليم الغرب الإسلامي المترامية الأطراف، فقطر المغرب الأوسط وحده يجمع ما بين تلول وهضاب مُتَلوِنة بألوان التل وألوان الصحراء، وصحاري شاسعة كانت تتعرض دوما إلى مثل هذه الظواهر وفي كلّ فصول السنة، وكانت إحدى اهتمامات الفقه النّوازلي لارتباط الناس بما يصيب مواشيهم وزروعهم ونقاط السقي والأودية والآبار.

فمن المسائل التي جاء بها الفقيه الونشريسي: سئل سيدي عيسى بن علال الفقيه عن الزرع الذي أصابه القحط: "... زرعهم أصابته جائحة القحط وأن غلته فسد بذلك بعضها وأرادوا أن يخرجوا لنظر في ذلك شهوداً من أهل المعرفة ليسوا مرضيين في دينهم بحيث تقبل شهادتهم في كل ما تقبل فيه شهادة العدول المرضيين، واحتجوا بذلك أن أهل البصر

[1] المصدر نفسه، ج13، ص 07.

لا تشترط عدالتهم، فقال لهم الناظر جائحة الزرع بالقحط لا يخرج إليها إلا في زمن الربيع عند احتياج الزرع وحصد بعضه فلا يمكن أحد من ادعاء الجائحة أنها أصابت من زمن الربيع، فإن غاية ما يعرف من ينظر إلى الزرع الآن بعد يبسه أن غلته ناقصة، أنه إنما يرد كذا وكذا وسقًا مثلاً. هذا غاية ما يعرفون. وهل ذلك النقص بسبب العطش أو بسبب البرد أو الجليد أو غير ذلك فلا يعرف أحد الآن؟ ... انظروا إلى الزرع القائم الأخضر قد اصفرَّت ورقته وذهب منه كذا بسبب القحط الكائن الآن حسبما ذلك في كريم عملكم. ... فقال الحارثون إن أهل العدل من الفلاحين امتنعوا لنا من الدخول في هذه المسألة ولم نجد سوى الذين أخرجنا من أهل المعرفة، فهل يمكنون من جعل جائحة القحط بعد يبس الزرع وحصاد بعضه ويصدقون فيما يزعمون أن نقص الغلة إنما هو بسبب العطش مع مخالفة الناظر لهم ودعائه أن الزرع لم يعبه عطش أم لا؟"[1].

4.1.1. المناقب المرزوقية لأبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني (781هـ/ 1379م)

لا تختلف الكتابات المنقبية عن الكتابات النوازلية في شموليتها لتفاصيل دقيقة عن مضامين سؤال الفتاوى وإجاباتها ومختلف الأصيلات التابعة لها، على أنّ الكتابات المنقبية ستكون أكثر دقّة في توصيفها للشخص الذي يريد المؤلّف أن يدوّن مناقبه ويعدّد خصاله ومآثره فأفادت تلك المناقب بدور صاحب المنقبة زمن الكوارث والمجاعات والقحوط والأوبئة وجاءت أخبارها عرضا عند محاولة المؤلّف تدوين فضائل صاحب المنقبة فأفادت منها المعرفة التاريخية ما حرمت منه في كتب التاريخ العام التي أهملت تفاصيل الحياة الاجتماعية لصالح مشاكل السياسة والمقاتل والفتن والحروب والمعارك والصراعات الدائمة.

نأخذ بعض النصوص الخاصة بالجوائح الطبيعية التي في بعض الأحيان يكون الإنسان هو السبب فيها مثل تأزم الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية بعد أن تخلف المجاعة التي تظهر بعدها الأوبة وناتج الوفيات منها بعض النصوص:

جاء في كناب المناقب المرزوقية لأبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني(781هـ/ 1379م)، إن توتر الصراع بين بني زيان وبني مرين الذي أدى إلى تدهور الأوضاع وعدم

[1] المصدر نفسه، ج 08، ص ص170 - 171.

الأمن والاستقرار السياسي، "خاصة بالمغرب الأوسط وعاصمته تلمسان"، الذي أدى إلى حصار المدن إلى فترات من الزمن، إلى أن انتشر الرعب والخوف والجوع وصدور عن هذا الوباء، كما نعلم أن كلما ظهر الجوع لازمه الوباء[1]، فوصف العبدري المغرب الأوسط وخاصة مدينة تلمسان بأنها مدينة ذات طابع اقتصادي نشيط وفيرة الإنتاج ومتميزة حضاريا فقد تدهورت مع بداية القرن السابع حتى القرن التاسع هجري، من تكالب المجاورين لها وحدق الأنظار فيها وزيغ السهام عليها، فجرانها من أوضع خلق الله وأشدهم إذاية، حتى أصبح أهلها كلهم في غبط وخوف وحصار، حتى أن ظهر عليهم الوباء من الجوع الناتج عن هذه الحروب والحصار على المدن[2].

قال العبدري في رحلته: "ثم وصلنا إلى مدينة بونة، فوجدناها بلدة بطوارق الغير مغبونة، مبسوطة البسيط، ولكنها بزحف النوائب مطوية مغبونة، تلاحظ من كتب فحوصا ممتدة، وتراعي من البحر جزره ومدّه، تغازلها العيون من جور النوائب، وتأسى لها النفوس من الأسهم الصوائب، وقد أزعج السفر من حلولها، فلم أقض وطرًا من دخولها، ومن أغرب المسموعات أن صادفنا وقت المرور بها زويرقًا للنصارى لا تبلغ عمارته عشرين شخصًا، وقد حصروا البلد حتى قطعوا عنه الدخول والخروج، وأسروا من البر أشخاصًا، فأمسكوهم للفداء بمرسى البلد، وتركناهم ناظرين في فدائهم، ومن مولانا اللطيف الخبير نسأل اللطف بنا في أحكام المقادير"[3]، فهذه الأوضاع السائدة في المغرب الأوسط أصابت الحياة الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، إلى أن تدهورت وانهارت الأحوال وتزعزع فيها الاستقرار وحصار مدن المغرب الأوسط الذي خلف المجاعات والأوبئة وغيرها من الجوائح[4].

وسنقدم نموذجًا عن الوباء في المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة: "لقد اعتبر بعضهم القرن (08هـ/14م) من أسوء العصور التي عرفها الحوض المتوسطي، نظرًا لكثرة

[1] أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغربية، المغرب، 2008، ط01، ص 43.

[2] محمد العبدري البلنسي (ت نحو سنة (730هـ/ 1329م)، الرحلة المغربية، تح: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عاصمة الثقافة العربية، عنابة، الجزائر، 2007م، ص 27.

[3] المصدر نفسه، ص 09.

[4] المصدر نفسه، ص 45.

الأزمات التي ميزته، حتى وصف بأنه قرن مطبوع بالكوارث (siècle calamiteux). ويأتي الطاعون الأسود على رأس الظواهر المميزة لهذا القرن. وقد اجتاح هذا الوباء البلاد المغاربية وأوروبا الغربية ابتداءً من سنة (749هـ/ 1348م).

وتقدر بعض الدراسات عدد الخسائر البشرية التي خلفها الطاعون الأسود ما بين ثلث أو نصف سكان المغرب الإسلامي، ... المغرب عرف نزيفا ديموغرافيا من جزاء الطاعون الأسود، ... أن الجثث كانت متناثرة في الجبال والسهول والمدن، وأن الوباء قضى على المواشي" فمن هذا نرى أن البلاد احتاجت إلى عدة سنوات حتى سدت فراغ البشرية الذي خلفته الأوبئة، فتستدل سلوى الزاهري في تحقيقها لكتاب المناقب المرزوقية من كتاب ابن خلدون: "هذا إلى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف، الذي تحيف الأمم، وذهب بأهل الجيل، وطوى كثيرًا من محاسن العمران ومحاها، وجاء للدول على حين هرمها بلوغ الغاية من مداها، فقّلص من ظلها، وفلّ من حدّها، وأوهن من سلطانها، وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أحوالها، وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر، فخربت الأمصار والمصانع، ودّست السبل والمعالم، وخلت الديار والمنازل، وضعفت الدول والقبائل، وتبدل الساكن، وأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب، لكن على نسبته ومقدار عمرانه، وكأنما ناد لسكان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر بالإجابة، وقد ذهب ضحية وباء سنة (748–947هـ/ 1347–1540م) العديد من الأفراد ... ثم درجوا كلهم في الطاعون الجارف"[1].

2.1. ظهور الكوارث الطبيعية

تعرضت بلاد المغرب الإسلامي إلى الكثير من الكوارث الطبيعية منها: الزلازل المدمرة حيث تعرضت فاس ومراكش إلى البنية التحتية بهزات مدمرة مثل زلزال (419هـ/1029م) الذي دمر أجزاء من قرطبة وفاس مما أدى إلى نقاشات فقهية، حول إعادة بناء المساجد المنهارة بتمويل الأوقاف، كذلك المجاعات والأوبئة التي انتشرت خلال ق (09هـ/14م)، فاجتاح الطاعون الأسود بمدن المغرب مما تسبب في فتاوى تتعلق بإجراءات الدفن والحجر

[1] أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص 50.

الصحي وجواز الفرار من المدن المصابة، مثل فتاوى ابن الحاج، فالجفاف وانقطاع الأمطار الذي أدى إلى دفع الفقهاء بإصدار الفتوى حول جواز إخراج الزكاة فبل وقتها واللجوء إلى صلاة الاستسقاء ومنع الاحتكار، أما الفيضانات وتدمر المدن التي أدت إلى تدخل الحكومة في النظر لهذه الظاهرة، أما الجراد الذي أثر على المحاصيل الزراعية فتطرق الفقهاء إلى التخفيف من دفع الزكاة في سنوات القحط، وحكم قتل الجراد.

1.2.1 تعريف بالكارثة الطبيعية

تعتبر الكوارث الطبيعية من بين التحديات التي تواجه الكائنات الحية سلباً في مختلف بلدان العالم، والمغرب الأوسط(الجزائر) أحد البلدان التي تصادمت معها هذه التحديات خلال العصر الوسيط(العهد الزياني)، وبالعودة إلى الكتابات النوازلية الفقهية والكتابات المنقبية لهذا العصر وقفنا على العديد من النوازل تضمنت الكوارث الطبيعية بالمغرب الإسلامي عامة وبالمغرب الأوسط خاصة، حيث عالجت المشاكل والأوضاع المتدهورة بسببها، والتي أثرت على مختلف المجالات الحياة البشرية، ومن هذه الكوارث الطبيعية المتتالية على بلاد المغرب الأوسط منها: القحط والجفاف والريّاح والأعاصير والفيضانات والثلوج والزلازل والحيوانات المتوحشة والطيور الشرسة وغيرها...الخ.

فنرى أن هذه الكوارث كانت سبب المشاكل البشرية مثل: الحرابة وقطع الطريق والنهب والسرقة والحروب والقتل والاغتصاب في أرزاق الناس وغيرها...الخ.

وهناك من يرى بأن هذه المشاكل البشرية ليس بكارثة فقط، بل أنها من باب سوء حرص المالك، والنظام السائد في بلاد المغرب الأوسط على حساب الدولة القائمة بقوتها في هذه المنطقة، والنظر إلى الجوانب الحضارية بشتى أوضاعها[1].

من قول الفقيه أبي القاسم البرزلي: "ولا جائحة فيما اشتري من الثمر مع أصوله بإجماع. واختلف العلماء في ما اشتُري مفرداً، ومراعاة الكثيرة فيه من القلة وتحديد الكثرة فيه

[1] الحسين بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الرباط 2002، ص ص23 – 25.

بالثلث. واختلف أئمتنا هل يرجع الثلث إلى قيمة ثمره وإن كانت أقل أو إلى قدرها ؟ وإن كان أقل على ما هو معلوم"[1].

حيث يذكر الفقيه أبو الوليد بن رشد الحفيد: "... وأما ما أصاب من صنع الآدميين فبعض أصحاب مالك رآه جائحة، وبعض لم يره جائحة، والذين رأوه جائحة انقسموا قسمين، فبعضهم رأى منه جائحة ما كان غالبا كالجيش، ولم يرى ما كان بمغافصة جائحة مثل السرقة، وبعضهم جعل كل ما يصيب الثمرة من جهة الآدميين جائحة بأي وجه كان".[2]

يذكر الفقيه أبو القاسم البرزلي: "[لو بعت من أخيك تمراً فأصابته جائحة فلا يحل له أن يأخذ منه شيئاً، لِمَ يأخذ مال أخيه بغير حق]"، أما في حديث أخر له: "[إذا أصيب ثلث الثمرة فقد وجب على البائع الوضعية]"[3].

يتفق الفقهاء على أن الكوارث الطبيعية هي كل ما يترتب ويأتي من الطبيعة وليس من صنع الإنسان، مثل: الريح والقحط والمطر والبرد والجليد والثلج والطير والأسود والدود والأمراض والتثرية والأوبئة والنار والزلازل وغيرها من الكوارث الطبيعية التي تأثر على الكائن الحي، فهذه الجوائح دائما تتسبب في المشاكل التي تقع بين الباعة والمشتري، مثل الكراء عند المزارعين في وقت القحط، لسبب قلة الربح، وهذه الكوارث تأتي من السماء من عند الله عزى وجل لا من صنع الإنسان، لذلك اهتم العلماء بهذا الجانب من أجل اضاح وتقديم تعاليم دينية فيما يخص هذه النوازل الفقهية، وكذلك تدخلت الدولة بإجاد حلول لناس من أجل التخلص من هذه الأزمات التي تترتب على الكوارث الطبيعية ومن مخلفاتها كوارث بشرية، ومجاعات وأمراض وأوبئة فتاكة بالإنسان[4].

واجهت بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط تحديات طبيعية واجتماعية واقتصادية دفعت الفقهاء إلى الاجتهاد من أجل إجاد حلول شرعية لهذه الأزمات، وقد لعبت كتب

[1] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج03، ص 388.
[2] الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 26.
[3] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج03، ص 388.
[4] الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص ص26-28.

النوازل الفقهية والكتابات المنقبة، مثل المعيار المعرب للونشريسي له دور مهمًا في توثيق هذه القضايَا وبيان الأحكام الشرعية المتعلقة بها.

3.1. تعريف بالشخصيات (الفقهاء، المؤرخـون، الرحالة والجغرافيون)

أ- تعريف بالشخصيات

أ-1 الفقهاء

أحمد بن أحمد الندرومي كان حيًا سنة (830هـ/1426م)

هو أحمد بن أحمد الندرومي الذي كان حيًا سنة (830هـ/1426م)، الفقيه النحرير أحمد بن أحمد بن عبد الرحمان ابن عبد الله بن الأستاذ الندرومي، أخذ عن الإمام ابن مرزوق الحفيد ابن الخطيب، ففي رحلته لطلب العلم اتجه نحو القاهرة، ومن مؤلفاته ألف: شرح جمل الخوانجي عن شيخه ابن مرزوق الحفيد[1].

ابن حـزم (384هـ/994م)

ابن حزم ولد سنة (384هـ/994م)، "هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الإمام المشهور أصله من فارس ومولده بقرطبة من بلاد الأندلس سنة (384هـ/994م) ويزيد جده الأعلى، وهو من مولى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، كان حافظًا عالمًا بعلوم الحديث بعد أن كان شافعي المذهب فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر، وكان متفننًا في العلوم جمة وعاملا بعلمه زاهدا في دينه بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة، وتدبير الملك متواضعًا ذا فضائل جمة وتأليف كثيرة"[2].

ومن مؤلفاته المشهورة منها:

- جمهرة أنساب العرب، طبع بالقاهرة سنة (1418هـ/1998م).
- كتاب الأخلاق والسير، طبع بيروت سنة (1380هـ/1961م).
- طوق الحمامة، طبع بيروت سنة (1394هـ/1975م).
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، أربعة أجزاء طبع بيروت (1394هـ/1975م).

[1] محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تح: خير الدين، دار كردادة، الجزائر، 2013م، ج02، ص 528.
[2] بوبة مجاني، التيارات السياسية والدينية في الجزائر، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص 99.

- رسالة نفط العروس، بمجلة كلية الأدب القاهرة سنة (1370هـ/1951م).
- كتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى الكاتبين التوراة والإنجيل[1].

ابن قنفذ القسنطيني ت (776-809هـ / 1359-1375م)

أحمد بن حسن بن علي الشهير بابن الخطيب القسنطيني ويعرف بابن قنفذ[2] ت (776-809هـ/1359-1375م)[3] وهو أبو العباس المعروف بابن قنفذ القسنطيني المتفنن الرحالة المحدث أخذ عن حسن ابن أبي القاسم بن باديس والشريف التلمساني ارتحل إلى المغرب (759هـ/1357م)، وأخذ علمه عن الشيخ العلامة ابن مرزوق الحفيد الذي ينتمي إلى أسرة عريقة بالجزائر والمعروفة بأسرة المرازقة[4]، وأخذ عن أبي زيد البجائي وعبد الحق المسكورى[5].

أما الدكتور صالح بن قربة يذكر أن ابن قنفذ القسنطيني ارتحل إلى المغرب سنة (760هـ-1375) ثم تحدث عن أبي مدين شعيب المتوفي في مدينة تلمسان سنة (594هـ/1198م)، عن حياته الفكرية في المغرب الأوسط في عهد أبي الحسن وأبي العنان[6]، ومن مؤلفاته: أنس الفقير، الفارسية، الوفيات، شرف الطالب[7]، وتقريب الدلالة في شرح الرسالة، اللباب في اختصار الجلاب، معرفة الرائض في مبادئ الفرائض، إيضاح المعاني رَجَز محمد بن عبد الرحمان الضرير المراكشى، تلخيص العمل في شرح الجمل، أنوار السعادة في أصول العبادة، أنس الحبيب عن عجز الطبيب[8].

---

[1] المرجع نفسه، ص 112.

[2] ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمر أبو النور ، دار الكتب، د بلد، 1971م، ج01، ص 121.

[3] صالح بن قربة، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، وزارة المجاهدين، دار المركز الوطني لدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2009م، ص 121.

[4] محمد الحفناوي، المرجع السابق، ج02، ص 528.

[5] ابن القاضي، المصدر السابق، ج01، ص 121.

[6] صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 121.

[7] الحسن الشاهدي، أدب الرحالة بالمغرب، دار الليمون، الرباط، 1990م، ج01، ص 327.

[8] ابن القاضي، المصدر السابق، ج01، ص ص121، 122.

أ- 2 المؤرخـــون

عبد الرحمان ابن خلدون ت (808هـ/1405م)

ذكر عبد الرحمان بن خلدون (732هـ/1332م)، تعريفه في تأليفه شفاء السائل وتهذيب المسائل " هو أبو زيد ولي الدين عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن محمد بن الحين بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الحضرمي الأشبيلي ابن خلدون، الملكي يرجع نسبه إلى حضرموت في اليمن، وإلى وائل بن حجر الصحابي الجليل"، وسمي بابن خلدون نسبة إلى جده التاسع خالد بن عثمان وهو أول من دخل الأندلس من الأسرة الخلدونية، فأصبح ابن خلدون يدعى بالوزير والرئيس والفقيه وإمام الأئمة وجمال الإسلام والمسلمين[1]، وكنيته أبو زيد ولقب بولي الدين أما اشتهر في وسط المجتمع بابن خلدون، الذي ولد في رمضان (732هـ/1332م) ويرجع نسبه إلي وائل من عرب اليمامة بحضرموت، وفي بعض المصادر نرى أن اسمه احتمل صفة المالكي نسبة إلى المذهب الذي اتبعه هو المذهب المالكي، كذلك حرص على صفة الحضرمي لانتسابه إلى حضرموت، وأضاف إلى اسمه الكثير من الصفات منها: الوزير، الحاجب، المصدر الكبير، الفقيه الجليل، علامة الأمة، ... وبابن خلدون" المشهور بها حاليًا[2].

كذلك ذكر في رحلته تعريفا له أنه هو عبد الرحمان بن محمد بن خلدون الذي كان ميلاده سنة (732هـ/1332م) في مدينة تونس حيث ترعرع وجمع علمه فيها، واجتاز العديد من الرحلات الاستطلاعية والعلمية في الكثير من البلدان، بعد أن استضافه السلطان أبي العنان المريني حاكم تلمسان في (755هـ/1354م)، ثم أدخله السجن بوشاية من أحد حاشية السلطان، وبعد وفاة السلطان أخرجه الوزير ابن عمر، ثم عينه السلطان المريني أبو سالم كاتبًا له، ثم انتقل إلى الأندلس سنة (764هـ/1362م) نزل بغرناطة عند السلطان أبي عبد الله الأحمر الذي رحب به، وفي سنة (765هـ/1363م) ارتحل كاستيل مدينة قشتالة، ثم عاد

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تح: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، 1996م، ص 24.

[2] عبد الزهرة علي الجنابي، ابن خلدون جغرافيًا، كلية التربية، جامعة بابل، د س، ص 02.

إلى مدينة بجاية بعد أن أسند إلى الحكم، وبعد هذا اتجه نحو تلمسان واستقر في قلعة بني سلامة في بلاد "بني توجين"[1].

عرّف محمد الحفناوي عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن خلدون الحضرمي الأشبيلي الأصيل الإمام ولي الدين أبو زيد القاضي العلامة الحافظ المؤرخ لعلوم العقلية والنقلية والمتميز في مجالات الحياة، الحافظ لكتاب الله، الذي ولد بتونس في رمضان عام (732هـ/1332م) – توفي سنة (808هـ/1405م) يوم الأربعاء رمضان بمقبرة الصوفية خارج باب القصراء[2]، فأسرته التي كانت تمثل البيت العلمي والبيت الحاكم، فكان أبوه محبًا للعلم وبعيد عن السياسة ولتعلقه بالعلوم حتى أن أصبح يتقن أصول اللغة العربية.

لذلك تعلم ابن خلدون عند أبوه الذي يمثل معلمه الأول[3]، الذي علمه علوم القرآن الكريم وفقه اللغة العربية، وأخذ علمه عن المشايخ الرحالة القادمين من تونس ومن المغرب ومن أهل البلاد الذين ذكرهم في كتابه (التعريف) نذكر منهم: أبي عبد الله محمد بن نزال الأنصاري، أما العلوم العقلية والمنطق منهم أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي ومحمد بن المهيمن الحضرمي إمام المحدثين، وتقلص العديد من المناصب السياسية[4]، فذكر برهان الدين دّلو أنه عبد الرحمان ابن خلدون مؤرخا عاش في القرن (07هـ/14م) مغربي عربي، الذي مزقته الأزمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فمن هذه الأزمات كتب عن أحوال البلاد والعباد والمدن والطوائف، لذلك لقبه التاريخ بأبي زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون (1332–1406م) مؤرخًا وفيلسوف[5].

قام عبد الرحمان ابن خلدون بعد أن عاد إلى مدينة تلمسان بتأليفه وكتابته التاريخية نذكر منها: "تلخيص المحصل لفخر الدين الرازي، رحلته، شرح الرجز لابن الخطيب في الأصول، شرح قصيدة ابن عبدون، شرح قصيدة البردي، طبيعة العمران، العبر، التعريفات

[1] عبد الرحمان ابن خلدون (808هـ/1405م)، رحلة ابن خلدون، دار العلمية بيروت، لبنان، 2004م، ص 03.
[2] محمد الحفناوي، المرجع السابق، ج02، ص 904.
[3] عبد الرحمان ابن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، المصدر السابق، ص 24.
[4] عبد الزهرة علي الجنابي، المرجع السابق، ص 02.
[5] برهان الدين دّلو، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي، دار الفرابي، الجزائر، 2001، ص 20.

بابن خلدون، أما إذا عدنا إلى الفلاسفة والباحثين والمؤرخين أن له كتاب واحد الذين جمعوا فيه كل مؤلفاته هو" كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" والمقدمة جزء منه[1].

وكذلك ألف كتاب المقدمة التي اشتملت على أصول العمران والنظريات الاجتماعية والسياسية وتصنيف العلوم حتى أن أصبح مؤسسًا لعلم التاريخ والاجتماع والفلسفة[2]، فتذكر نجاة فخري أن عبد الرحمان ابن خلدون (732–808هـ / 1332–1405) مؤرخًا عربيًا وفيلسوفًا واجتماعي، الذي عرف بالمقدمة التي تحتوي على 22 مجلدًا، فعمل في بلاد إسبانيا بغرناطة كمستشار، أما في سن 40 سنة كتب تأليفه المسمى بالعبر، والمقدمة في علم الاجتماع، حتى أن كتب عن الملموس والوقائع بعد أن جاءته المنية بالقاهرة في رمضان مناهز العمر 74 سنة[3].

البــلاذري (عاش خلال القرن 03هـ/09م)

عاش هذا المؤرخ خلال القرن (03هـ/09م)، تميز بالتحري الكتب عن أنساب الأشراف، فهم أنساب قاموا بنشر الإسلام، وكانت صلته بالبلاط العباسي الذي مدح المأمون والمتوكل والمستعين والمعتز الذي عاش تحت ظلهم أيام الشدائد والرخاء[4].

ابن مسكـويه ت (422هـ/1030م)

يسمى ويكنّى بمسكويه واسم جده مسكويه لذلك يدعي مسكويه ابن مسكويه توفي سنة (422هـ/1030م)، الذي كان مؤرخًا وفيلسوفًا وطبيبًا، فيرى الفلسفة هي النفس أن النفس جوهر لا يحس بالحواس، وليست جسم ولا جزء من جسم، وتقبل الصورة المتناقضة والمحسوسات والمعقولات، وكذلك تحدث عن الصداقة بين الأنانية والإثارة حتى أن اختلف ابن مسكويه عن أريسطو في تحديد هدف الصداقة.

[1] عبد الرحمان ابن خلدون 808هـ، رحلة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 04.
[2] برهان الدين دّلو، المرجع السابق، ص 20.
[3] نجاة فخري، عباقرة من التاريخ، أنيسا مرسي، لبنان، بيروت، 1994م، ص 55.
[4] برهان الدين دّلو، المرجع السابق، ص.

لذلك يرى أريسطو أن الصداقة هي زادة حب الإنسان لنفسه، أما ابن مسكويه أنها تضيق على حب النفس، ويرى أن الخير هو التقرب من الله سبحانه وتعالى وكذلك تحدث عن الأديان[1]،ابن مسكويه توفي سنة (421هـ/1030م) الذي نظر في القيم الأخلاقية والإنسانية في تاريخ العام والعربي والإسلامي، الذي ألف في كتاب تجارب الأمم من شتى المجالات الحضارية[2].

المقـــريـزي ت (845هـ/1442م)

المقريزي توفي (845هـ/1442م) هو مؤرخ ومفكر مشهور بمصنفاته المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار والسلوك لمعرفة دول الملوك، واتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء، وكتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة، فهذه مؤلفاته التي تحدث عنها برهان الدين دّلو[3].

أبـو العبـاس أحمـد الغبريـني ت (704هـ/1362م)

هو أبو العباس أحمد الغبريني ت (704هـ 1362م) الفقيه قاضي جماعة بجاية صاحب عنوان "الدراية" العالم المؤلف أبو العباس أحمد بن أحمد بن أبي محمد بن على بن عمر الغبريني، ومن مشايخه أبي مدين وأبي علي المسيلي والشريف أبي الطاهر وأبي محمد عبد الحق وعبد الحق بن ربيعة والحسن القلعي، الذي ذكر الكثير من مشايخه[4] واشتغل قاضي بجاية، وألف الدراية والأربعين المسماة بالمورد الأصفى، وكتاب الفصول الجامعة وأخذ عن عبد العزيز عمر القيسي[5].

أحمد بن محمد المقري صاحب نفح الطيب (986-1041هـ / 1578–1631م)

أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي بن عبد الرحمان بن أبي العيش ابن محمد أبو العباس المقري التلمساني (986-1041هـ / 1578–1631م) اعتنق المذهب المالكي، الذي كان

[1] أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 141–142.
[2] برهان الدين دّلو، المرجع السابق، ص 17.
[3] برهان الدين دّلو، المرجع نفسه، ص 26.
[4] محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف مرجع السابق، ج02، ص 522–523.
[5] ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمر أبو النور ، دار الكتب، الجزائر، 1971م، ج1، ص 10.

من الرحالة ونذكر من مؤلفاته: الطيب في أخبار ابن الخطيب، فتح المتعامل، أزهار الكمامة، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، قصف المهتصر في أخبار المختصر، عرف النشق في أخبار دمشق، الغث السمين والرث الثمين، درّ الثمين في أسماء الهادي والأمين، حاشية شرح أم البراهين، فهذه المؤلفات المذكورة عند محمد الحفناوي[1].

أبو العباس أحمد بابا التنبكتي ت (1032هـ/1622م)

أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقبت ابن عمر بن علي بن يحي بن كذالة بن مكي بن ثيق بن لف بن يحي بن تشت ابن تنفر بن حيراي بن النيجر بن نصر بن أبي بن بكر بن عمر الصنهاجي الماسي السوداني، صاحب كتاب نيل الابتهاج ذيل الديباج، تكملة كفاية المحتاج، ترعرع في طلب العلم الدين، وله أثار كبيرة من طلبة وتأليف الكتب مثل مختصر خليل، منن الرب الجليل في مهمات تحرير خليل[2].

أ- 3 الرحالة والجغرافيون

العبدري (688هـ/1289م)

العبدري هو أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري[3]، الحيحي الذي يعود نسبه إلى بني عبد الدار[4]، بن قصي القرشي الذي يعود أصله إلى بلنسية وقربه من الصويرة في المغرب الأقصى[5]،فذكر إبراهيم على الكردي في تأليفه أن ابن بطوطة لم تذكر المصادر حياته وميلاده و وفاته وأعماله[6]، فهو الرحالة المغربي الذي عاش خلال القرن (07هـ/13م)، فأدى فريضة الحج سنة (688هـ/1289م)، الذي اتخذ رحلته إلى الحج عن طريق شمال إفريقية إلى الإسكندرية ثم الطريق البري إلى مكة المكرمة فاتخذ فلسطين مقرًا

[1] محمد الحفناوي، المرجع السابق، ج02، ص 545.
[2] محمد الحفناوي، المرجع نفسه، ج02، ص 514.
[3] الحسن الشاهدي، الرحلة بالمغرب، دار الليمون، الرباط، 1990م، ج01، ص.
[4] محمد يوسف نوابع واصف، الرحلات المغربية والأندلس، مكتبة ملك فهد الوطنية، الرياض، 1996م، ص 116.
[5] زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 100.
[6] علي إبراهيم الكردين، أدب الرحلة في الأندلس والمغرب، وزارة الثقافة، دمشق، 2013م، ص 81.

له لمدة زمنية، ثم انتقل إلى الإسكندرية[1]، فوصف كل الجوانب الحضارية في بلاد المغرب الإسلامي والمشرق[2].

حيث أن وضح في رحلته مخطط المواقع الجغرافية وذكر المعالم الأثرية، الذي ذكر العادات وتقاليد والفقهاء والعلماء كل المناطق التي مرّ بها[3]،ومن هذه البلدان وصف مدينة بجاية وصفًا دقيقًا عجيبًا مثل: ما وصفها بالعروس، فكتب عنها ووصفها لأن معظم المؤرخين لم يكتبوا عليها[4].

هذه المعلومات عنه موجودة في رحلته فقط ليس مكتوبة عند مؤرخين آخرين غيره، ورغم هذا يصفه بعض العلماء أنه من بيت علم، وتلقى علمه بمراكش وتقابل مع مجموعة من علمائها، وتمثلت رحلته في النظر الدقيق، حتى أن وجد في رحلته العديد من المباحث الفقهية والنحوية واللغوية والأدبية والأبيات الشعرية، فهذه الدلائل والبراهين استدلت بأنه من أسرة علمية مثقفة[5].

يذكر قسوة مفتشي المكوس في ثغر الإسكندرية: "ومن الأمر المستغرب والحال الذي أفصح عن قلة دينهم أنهم يعترضون الحجاج، ويجرعونهم من بحر الإهانة الملح الأجاج. ويأخذون على وفدهم الطرق والفجاج، يبحثون عما بأيديهم من مال، ويأمرون بتفتيش النساء والرجال، وقد رأيت من ذلك يوم ورودنا عليهم ما اشتد له شعجبي، ... جاءت شرذمة من الحرس، لا حرص الله مهجتهم الخسيسة، ... فمدوا في الحجاج أيديهم، ... ما رأيت هذه العادات الذميمة، والشيمة اللئيمة في بلد من البلاد"[6].

[1] زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 100.
[2] صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 119.
[3] زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 100.
[4] عبد الرحمان دويب، الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي، ، دار العلم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 278.
[5] محمد يوسف نواب عواصف، المرجع السابق، ص 117.
[6] محمد حسن زكي، المرجع السابق،ج01، ص 100.

ابن بطوطـة (الاثنين 17 رجب 703هـ / 24 فيفري 1304م)

ولد "محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن يوسف (بن عبد الرحمان) ابن يوسف اللواتي الطنجي، أبو عبد الله ابن بطوطة" يوم (الاثنين 17 رجب 703هـ / 24 فيفري 1304م) في طنجة، والذي قام بالعديد من الرحلات المغربية وأرجع المؤرخين نسبة إلى لواتة من القبائل البربرية[1]، الذي دفن بضريح أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن بطوطة في الزاوية[2]، والملقب بشمس الدين وعرف بتحفة النظار وعجائب الأمصار[3]، الذي ولد في طنجة من أسرة عالية، تخرج منها القضاة والعلماء والدليل عن هذا الحديث هو عندما طرح ملك الهند عنه أمر العمل الذي يحبه قال: "أما الوزارة والكتابة فليس شغلي".

وأما القضاء و المشيخة فشغلي وشغل أبائي"[4]، وتخرج الكثير من الأبناء من هذه الأسرة و وصولهم إلى منصب العلوم الشرعية[5]، أما القضاء تولاه هو وابن عمه أبوا القاسم ابن يحيى ابن بطوطة الذي تولى هذا المنصب في بلاد الأندلس هذا يعني أن أسرة ابن بطوطة اشتغلوا منصب القضاء[6]، فهذه الرحلة التي أشتهر بها في بلاد المغرب والمشرق كانت في سنة (725هـ/1324م)، فأتمها في (03 ذو الحجة 756هـ / 20 نوفمبر 1355م)[7]، ثم انتقل إلى مكة المكرمة من أجل أداء مناسك الحج أي قاصد بيت الله الحرام الذي خرج من بلده متجه نحو مكة المكرمة وعمره الثانية والعشرين سنة (725هـ/1324م)، الذي سار إلى بلاد مصر مع القوافل التي متجهة نحو الحج، فعندما علموا بعلمه فجعلوه قاضيًا عليهم[8].

وتمت ترجمة ابن بطوطة ترجمة وافية متخصّصة أفاد فيها المترجم بأنّه: هو ابن بطوطة المعروف برحلته المسماة بي تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار، لأبي عبد الله

[1] محمد يوسف نوابع واصف، المرجع السابق، ص 129.
[2] حسن مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته مرجع السابق، ص 16.
[3] علي إبراهيم الكردي، المرجع السابق، ص 65.
[4] محمد يوسف نواب عواطف، المرجع السابق، ص 130.
[5] محمد حسن زكي، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، السفارة، القاهرة، مصر، 2013م، ص 101.
[6] محمد يوسف نواب عواطف، المرجع السابق، ص 130.
[7] الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ج01، ص 25.
[8] شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، 2000م، ص95.

محمد بن عبد الله اللواتي المعروف بابن بطوطة، الذي عاش سنة (770هـ/1369م)[1]، الذي ارتحل إلى معظم المناطق الإسلامية حوالي 25 سنة، فوصف فيها الحياة الفكرية والثقافية والاقتصادية، فكان يتنقل من منطقة إلى أخرى حتى أن يتعرف عنها جيدًا، ويلتقي بالعلماء والزهاد والأئمة والصالحين وكان ينام في الزوايا[2].

لذلك لا نعرف عنه سوى أنه مالكي المذهب الذي ساد في شمال إفريقيا وكان يخالط العلماء والفقهاء والقضاة فقط وتعلم الشعر جيدًا الذي كان يمدح به غيره[3]، والعلوم عن مشايخ طنجة، رغم كل رحلاته التي جاب بها المشرق وبلدان المغرب فكان يسمع الدروس والوعظ من المشايخ أما علومه أخذها من مشايخ طنجة فقط[4].

فجاء في تأليف محمد محمدين أن ابن بطوطة ذكر في رحلته: "كان خروجي من طنجة مسقط رأسي، في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد، عام خمسة وعشرين وسبعمائة (02 رجب 725هـ / 15 يونيو سنة 1325م) معتمدًا حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام منفردًا عن رفيق آنس بصحبته، وركب أكون في جملته، لباعث على النفس شديد العزائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة كامن في الحيازة، فجزمت أمري على هجر الأحباب من الإناث والذكور، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور، وكان والدي بقيد الحياة، فتحملت لبعدهما وصيبًا، ولقيت كما لقيا من الفراق نصيبًا، وسنى يومئذٍ اثنتان وعشرون سنة)[5].

قال ابن جازية: "انتهى ما لخصته من تقييد أشيخ أبي عبد الله محمد بن بطوطة أكروه الله. ولا يخفى على ذي عقل أن هذا الشيخ هو رحال العصر. ومن قال: رحال هذه الملة لم يبعد. ولم يجعل بلاد الدنيا للرحلة. واتخذ حضرة فاس قرارًا ومستوطنًا بعد طول جولته، إلا لما تحقق أن مولانا – أيده الله – أعظم ملوكها شأنا، وأتمهم بما ينتمي إلى طلب العلم حماية. فيجب على مثلي أن يحمد الله تعالى؛ لأن وفقه في أول حاله وترحاله لاستيطان

[1] صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 119.
[2] شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 96.
[3] محمد محمدين، التراث الجغرافي الإسلامي، دار العلوم، المملكة السعودية، 1999م، ص 158.
[4] محمد يوسف نواب عواطف، المرجع السابق، ص 130.
[5] محمد محمدين، المرجع السابق، ص 158.

هذه الحضرة، التي هذا الشيخ بعد رحلة خمسة وعشرين عامًا[1]، أما نجاة فخري مرسي تذكر أن ابن بطوطة ولد سنه (703–770هـ / 1304–1369م)، وهو رحالة عربي جاب الأرض شرقًا وغربًا خلال 28 سنة، الذي كتب رحلته في تأليفه "تحفة الأنظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار"[2].

بعدا ما ولد في طنجة ثم بدأ برحلاته فقام برحلة إلى بلاد المشرق الإسلامي من أجل أداء فريضة الحج، وتمثلت رحلته من طنجة نحو الجزائر إلى الإسكندرية متجه للقاهرة والفسطاط فوجد طريقه إلى جُدَّة في مصر ثم عاد إلى الفسطاط وأخذ طريقه منها إلى نحوى صحراء سيناء بمصر إلى الشام التي تجول في مدنها حتى أن وصل بلاد الحجار وطاف بمكة المكرمة ثم اتجه نحو العراق فنزل مدينة البصرة حتى غرب إيران وكذلك الكوفة وبغداد ومدن الموصل، ثم عاد إلى مكة المكرمة وطاف مرة أخرى ثم انتقل إلى بلاد اليمن وإفريقيا الشرقية ثم عاد إلى بلاد العرب منها الخليج الفارسي و ظفار وعمان والبحرين ثم عاد إلى مكة وحج مرة ثالثة حتى أن اتجه نحو مصر ثم تركها وذهب إلى الشام وآسية الصغرى ثم إلى جزيرة القرم متجه نحوى بلاد القوقاز والبلغار حتى أن دخل القسطنطينية[3]، ثم ارتحل نحوى أوروبا، فبدأ بترجمة العديد من اللغات، ثم أقام في فاس حتى وفته المنية، فدفن في مسقط رأس طنجة سنة (770هـ/1369م)[4].

فقال كولين ماكيقيدى "لم يظهر في عالم العصور الوسطى مستكشفون جغرافيون بمعنى الكلمة، ومع ذلك فيمكن القول بظهور مجموعة من الرحالة العظام، أجلهم شأنا وأكثرهم شهرة الرحالة الافريقي العظيم ابن بطوطة"، وفي سنة (749هـ/1349م) عاد ابن بطوطة إلى بلاد المغرب حتى إلى سنة (748هـ / 1350م انتقل إلى بلاد الأندلس من مضيق جبل طارق إلى إسبانيا ثم عاد إلى المغرب متجه نحوى سجلماسة في اخترق بلاد الصحراء حتى بلاد

[1] محمد حسن زكي، المرجع السابق، ص 102.

[2] نجاة فخري مرسي، عباقرة من التاريخ، أنيس مرسي، بيروت، لبنان، 1994م، ص 98.

Mrs. N. morsy.Gentusesinhisiory.Dr. M. A. Morsy. T01Topmibayrot.A 1994.S 98.

[3] شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 96.

[4] نجاة فخري مرسي، المرجع السابق، ص 98.

Mrs. N. morsy.Gentusesinhisiory.Dr. M. A. Morsy. T01. Topmibayrot.A 1994.S 98.

السودان ومالي، الذي وصف كل المناطق التي زارها في تحفة النظار أي رحلته من الجانب الديني والاقتصادي والاجتماعي من عادات والعقائد أي في شتى مجلات الحياة[1].

حسـن الـوزان (901هـ/1495م)

هو حسن بن محمد الوزان الفاسي توفي سنة (960هـ/1553م)،ويعتبر شخصية إسلامية عربية الذي تميز بالشخصية الإنسانية الإسلامية، وتميز عند العالم المسيحي، واعتمد كمصدر أساسي بالنسبة لإفريقيا[2]، حيث أنه ينتمي إلى قبيلة بني زيات الزناتية الواقعة على الساحل البحر الأبيض المتوسط غرب بلاد غمارة، والواقعة بالقرب من مدينة تطوان، الذي ولد بغرناطة قبل احتلالها من طرف الإسبان، فأرجع المؤرخين ولادته سنة (901هـ/1495م) والبعض الأخر وأرجعوا ولادته إلى سنة (906هـ/1500م)[3]، والذي ألف عن الجغرافيا في تأليفه "وصف إفريقيا" خلال بني مرين وبني زيان، فكتب في تأليفه وصف الزوايا والمساجد والكتاتيب والمؤسسات الصحية والاجتماعية والثقافية[4].

ومن رحلاته التي قام بها نذكر منها:

رحلته إلى الشواطئ سنة (914هـ/1508م)، رحلته إلى وسط المغرب سنة (915هـ/1509م)، رحلته إلى بلاد السودان سنة (917هـ/1511م)، رحلته إلى الأطلس الكبير سنة (9–918هـ / 12–1513م)، رحلته إلى بلاد حاحا في السنة 919هـ / 1514م، رحلته إلى مراكش والسوس سنة (920هـ/1515م)، رحلته إلى الحجاز في أواخر سنة (921هـ/1516م)، رحلته إلى الأستانة، رحلته إلى بلاد الليبية والتونسية سنة (926هـ/1520م)، ثم إلى البلاد المسيحية[5].

[1] كولين ما كيقيدى، أطلس التاريخ الإفريقي، تح: مختار السويفي، مصر، 1987م، ص 101.
[2] صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 121.
[3] حسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص ص 5–6–7.
[4] صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 121.
[5] حسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص ص 8–9–10.

ابن حوقـل عاش خلال القرن (04هـ/10م)

عاش ابن حوقل خلال القرن (04هـ/10م)، هو أبو القاسم محمد بن علي الموصلي المشهور بابن حوقل الذي ولد في بغداد وأصله من الجزيرة ودرس تقويم البلدان، ثم مارس عمل التجارة وجاب كل الأراضي من أجل حبه لجغرافيا، ففي رحلته قابل الأصطخري[1] عام (340هـ/952م)، وكانت علاقته حسنة مع الفاطميين[2].

[1] الأصطخري: توفي بعد عام (340هـ/951م)، هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصطخري أصله من إصطخرة في فارس أنه من الرحالة الذين ارتحلوا حول العالم، ثم ألف كتاب الأقاليم، ثم المسالك والممالك فهذا العنوان استعمله قبله خرداذبة. أنظر/ عبد الرحمان بن حميدة، المرجع السابق، ص 199.

[2] عبد الرحمان بن حميدة، المرجع نفسه، ص 210.

.2
الجوائح الطبيعية

شهد المغرب الأوسط خلال القرنين (07-08هـ / 13-14م) أزمات طبيعية قاهرة، متمثلة في الجوائح أو الكوارث الطبيعية منها: القحط والجفاف وارتفاع الحرارة القصوى، الرياح الساخنة والرياح الباردة، السيول والفياضان، الثلوج الكثيفة والبرد والصقيع (الجليد) والحرائق والزلازل والجراد والهوام والحيوانات المفترسة والبكتيريا والطفيليات والأمراض والأوبئة والمجاعة وغيرها من الجوائح الطبيعية التي غيرت موازين البشرية من الرفاهية والأمن والاستقرار إلى الخوف وتأزم الأوضاع وعدم الاستقرار.

وهذه الجوائح الطبيعية التي حلت بالـمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط أثرت على مختلف مناحي الحياة وأزَّمت الأوضاع العامة، ونتج عنها تغيير مفاجئ انتقل بها من الازدهار إلى الانهيار، إذ أصبحت هذه الجوائح البشرية تهدد البنية الاجتماعية والحضارية لـما ينتج عنها من قتل ونهب وسرقة وحرابة وانتشار للرذائل والفسوق، من أجل الحصول على ما يلزم الإنسان من حاجيات، ورغم هذه الجوائح التي غيرت الموازين الحضارية لسكان بلاد المغرب الأوسط من الأحسن إلى الأسوأ، تغيرت الموازين وزاد تكالب الدول المجاورة عليها من أجل نهب خيراته، ومن هذه الدويلات نجد: الدولة المرينية بالمغرب الأقصى والدولة الحفصية بالمغرب الأدنى والدول المسيحية الأوروبية.

فمن هذه الجوائح التي ذكرها الفقيه البرزلي منها: جائحة القحط والجفاف والريح والمرض والدود و اليبس و الجذاذ والثلج والبرد والصقيع والفيضان، كذلك الجوائح البشرية منها العدوى والعسكر والناس الذين يقتحمون المزارع ويأكلونها وينهبون، فهذه الجوائح

كانت موضوع أسئلة فقهية كثيرة تطرقنا إليها في بحثنا هذا، وكانت فيها أجوبة من طرف الفقهاء في بلاد المغرب الأوسط، فمن هذه الجوائح ما يجلب الغلاء والبلاء والوباء على أهل البلاد التي تنزل فيها الجوائح الطبيعية و الجوائح البشرية، فأجاب التونسي عن هذه الأحداث حيث قال: "الأقرب في هذه المسائل أنها تجري على إحداث ما ينقص الثمن بجاره أو ينقص الغلة كذلك"[1].

أما الطرار فيفيد عن الشعباني أنّه قال: "فهذه الجوائح [تسبّب] الكساد وغلاء السعر وسواء أحداث المبتاع ومصيبته بعد الجذاذ ليس بجائحة، ولو أجيح بعد موت البائع فالجائحة باقية في ماله.

1.2. تعريفها

تعتبر الجوائح الطبيعية من المشاكل المعتاد عليها في بلاد المغرب الأوسط، وإذا عدنا إلى كتب النوازل الفقهية نجد العديد من المشاكل المترتبة عنها تمسّ بالكيان المجتمعي و بسبل العيش و الكسب لمّا يلحقه من أمراض وأوبئة وجراد وسباع و هوام و حشرات و قوارض وقحط وجفاف وزلازل وريّاح وأعاصير وفيضانات وثلوج وغيرها، فهذه الجوائح سببت مشاكل مجتمعية بشرية مثل: الحرابة وقطاع الطرق والعصابات والنهب والسرقة والحروب والقتل وغيرها، هذه المشاكل كلها من أجل الحصول على الطعام و الأكل، أما أبو إسحاق الغرناطي وابن فتحون وأبو هارون يفسرا هذه المشاكل البشرية ليس بجائحة، أي أنها من باب سوء حرص المالك[2].

1.1.2. تعريف بالجائحة

هي المصيبة المستأصلة، يقال: أجاحهم العدو واستولى عليهم وكذا الشدائد، مثال: "ولا جائحة فيما اشتري من الثمر مع أصوله بإجماع. واختلف العلماء في ما اشتُري مفرداً،

[1] أبو القاسم البرزلي، المصدر نفسه، ج3، ص 399.

[2] الحسين بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الرباط 2002، ص ص23 – 25.

ومراعاة الكثيرة فيه من القلة وتحديد الكثرة فيه بالثلث. واختلف أئمتنا هل يرجع الثلث إلى قيمة ثمره وإن كانت أقل أو إلى قدرها ؟ وإن كان أقل على ما هو معلوم"[1].

وفي نظر أبو الوليد بن رشد الحفيد ما جاء في قوله: "... وأما ما أصاب من صنع الآدميين فبعض أصحاب مالك رآه جائحة، وبعض لم يره جائحة، والذين رأوه جائحة انقسموا قسمين، فبعضهم رأى منه جائحة ما كان غالبا كالجيش، ولم يرى ما كان بمغافصة جائحة مثل السرقة، وبعضهم جعل كل ما يصيب الثمرة من جهة الآدميين جائحة بأي وجه كان"[2].

فهناك بعض الفقهاء يعتبرون عمل السارق جائحة ومنهم من لا يعتبر أنه جائحة بل يغرم السارق ويحبس، فتتمثل أعمال السارق أساسا في سرقة أملاك الناس والدولة، لذلك قال الفقيه مالك بعد أن سئل عن جماعة من بلاد المغرب الأوسط تشكل خطرًا على أهل البلاد وسلب أملاكهم، قال: "في أعراب قطعوا الطريق جهادهم أحب إليَّ من جهاد الروم"، مما جاء في الحديث: "من قتل دون ماله أو دون المسلمين فهو أعظم لأجره"، حيث قال الفقيه ابن القاسم: إتباعهم وقتالهم، أما ابن سحنون قال: يتبعون ويقتلون بدون توبة، أما الفقيه أبو مهدي سيدي عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني قال: يقتلوا، من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:[إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعًا من الناس، ولكن يقبض الْعلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُترك عالما اتخذ الناس رؤُوسًا فأفتواْ بغير علم فضلُّوا وأضَلُّوا] فطبقها على أهل الحرابة[3].

كما جاء عند مسلم : "[لو بعت من أخيك تمراً فأصابته جائحة فلا يحل له أن يأخذ منه شيئاً، لِمَ يأخذ مال أخيه بغير حق]"، أما في حديث أخر له: "[إذا أصيب ثلث الثمرة فقد وجب على البائع الوضعية]"[4]،حيث اتفق العلماء والفقهاء على أن الجائحة هي كل ما يترتب ويأتي من الطبيعة وليس من صنع الإنسان، مثل الريح والقحط والمطر والبرد والجليد والثلج والطير والأسود والدود والأمراض والحشرات الضارة والأوبئة والنار والزلازل وغيرها

[1] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج03، ص 388.
[2] الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 26.
[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج06، ص ص153 – 155.
[4] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج03، ص 388.

من الكوارث الطبيعية، فهذه الجوائح دائما تتسبب في المشاكل التي تقع بين الباعة والمشتري، مثل الكراء عند المزارعين في وقت القحط، لسبب قلة الربح، وهذه الجوائح من السماء من عند الله عز وجل لا من عند الإنسان[1].

2.2. أنواعها

ترتبط الجوائح أو ما يعرف بالكوارث الطبيعية بلغَّة العصر بالقوى الخارجة عن إرادة الإنسان، وهي تدبير الله عز وجل وتصريفه في الكون والمخلوقات، وفي الأديان والعقائد الوضعية هي كل الأحداث الكبرى المتعلّقة بقوى الطبيعة أو بما وراء الطبيعة، وهي في كلا التصوّرين قوّة خارقة قسرية لا يد للإنسان فيها، اللهمّ بعض التدخّلات التي جعلت البشرية تساهم في تعرية الأرض والقضاء على النبات الطبيعي فيها وتلويث البيئة والأودية والأنهار ومختلف المسطحات المائية، يضاف لها المشاكل والتحديات الطبيعية التي تواجهها في زمان بحثنا هذا.

إنّ مجال بحثنا هذا يختصّ بالبحث في تتبع الظواهر الطبيعية الـمعيقة للاستقرار البشري ولحركية العادية في بيئته ومجاله الطبيعي، الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالأرض وسطحها وبالمياه ومنابعها وبالجوّ ومناخه ومختلف التقلّبات العادية والطّارئة التي تميّز حالتهما، وكل ما ليس للإنسان يد مباشرة في تدبيره أو توجيهه أو تيسيره أو تسييره.

تحكّمت الجوائح الطبيعية في حياة الإنسان وسلوكياته وتفاعله مع البيئة الطبيعية[2]، كما تحكمت بصورة أدق وأكثر تأثيرا في النشاط الزراعي، الذي يعتبر مصدر عيش الإنسان والحيوان خلال فترة دراستنا، القرنين (07– 08هـ/ 13– 14م). كما صنفها العلماء والفقهاء والمؤرخون والجغرافيون بأنها ظواهر طبيعية تأتي في أي زمان ومكان، المتمثلة في الرياح والسيريكو والغبار والقحط والجفاف وانحباس المطر والسيول والفيضان والثلوج والبرد والجليد والزلازل والحيوانات المفترسة والجراد والحشرات والأمراض والأوبئة ...الخ.[3]

ومن هذه الجوائح الطبيعية نذكر ما يلي:

---

[1] الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص ص26 – 28.

[2] محمود أبو العلا، الفكر الجغرافي، دار اللواء للطباعة، جامعة الأزهر مصر، 1979 م، ص 5.

[3] محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقيا، دار الكتب الجديدة المتحدة، بنغازي ليبيا، 2003م، ج 01، ص 603.

1.2.2. جوائح الغلاف الجوي

الغلاف الجوي، هو الذي يحيط بالأرض ويدور معها، يبلغ سمكه حوالي 300 كلم، وهو خليط من الغازات والأبخرة والشوائب، التي يزداد تركيبها وكثافتها في الطبقة السفلى القريبة من سطح الأرض، بسبب الجاذبية الأرضية. ومن الجوائح الطبيعية التي تظهر في الغلاف الجوي نجد:

1.1.2.2. جائحة الهواء

الهواء عنصر أساسي في الطبيعة، ويقوم بتحريك الحياة في هذه الطبيعة، التي يعيش فيها الإنسان والحيوان والنبات، فالهواء ضروري جداً لتنفسه من طرف الكائنات الحية التي تعيش في هذه الطبيعة، ويكوّن السحب التي يولد تكاثفها الأمطار لتكون ووفقا لأسباب أخرى سببا في نمو النبات الطبيعي والحبوب والخضر وكل الأحياء على سطح الكرة الأرضية، ويتحكم في توزيع الحرارة والبرودة وينظمها على حساب الطبيعة، وبسبب الهواء ينتقل الصوت من مكان إلى آخر وإلى مسامع الكائنات الحية، ولولا هذا الهواء لذهبت الأصوات، لذلك في القديم ربطت البشرية بين العناصر الأربعة المتفق عليها: وهي الأرض والماء والهواء والنار(الحرارة).[1]

نجد الهواء في كل مكان ولا يوجد أي مكان يخلوا منه الهواء، فهو يتحكم في البرودة والحرارة، فيخفف الحرارة ثم يولد الرطوبة والبرودة، فيثقل الهواء، ويحدث الضغط العمودي على مستوى البحر، الذي يعادل الضغط الحاصل من عمود الماء ارتفاعه: 10.33م، والضغط العمودي من الزئبق ارتفاعه 79سم^2، فهذا الهواء إذا فسد يتسبب في قتل الكثير من الناس، حيث يذكر ابن خلدون: "أما الموتان ناتج عن الوباء المنتشر في البلاد، ولغالب أسبابه المجاعة والهواء الفاسد"[3].

---

[1] مؤلف مجهول، النخبة الأزهرية في تخطيط الكرة الأرضية -47 خريطة و66 صورة وشكلا-، مطبعة أندريا كوستا جليو، مصر، 1903م، ص 62.

[2] المصدر نفسه، ص 63.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد درويش، مكتبة الهداية دمشق، سوريا، 2004م، ص 112.

2.1.2.2. جائحة الجوّ

الجو هو عبارة عن هذا الهواء الذي تحدثنا عنه، وبشكله يحيط بالكرة الأرضية، وقدره العلماء والباحثون بأنه يرتفع بحوالي مائة كلم، الذي يتكون من مجموعة من الغازات التي تدور في الطبيعة منها: غاز الأكسيجين وغاز الآزوت وغاز حامض الكربونيك وكذلك بخار الماء، فهذه الغازات عناصر أساسية في الطبيعة حتى يتسنى للإنسان والحيوان والنبات التعايش، وتلعب دورا في تكوين السحب والأمطار[1].

يقاس الضغط الجوي بجهاز البارومتر، فدائمًا يتغير مع تغير درجة الحرارة، فيزداد كلما زاد الانخفاض ويزداد كلما زاد الارتفاع، حتى أصبح هذا الجهاز يقاس به ارتفاع الجبال مهما كان ارتفاعها[2].

يدرس علم الجغرافيا الظواهر الطبيعية أو صورة الجغرافيا[3] منها: الحرارة والبرودة والرطوبة والرياح والحالات الخاصة بالجوّ عامة، لذا نجده يفيدنا في دراسة الجوائح الطبيعية التي محل دراستنا، وإبراز تأثيرها على مختلف الكائنات الحية.

3.1.2.2. جائحة الحرارة

الحرارة هي الهواء الدافئ، الذي يكون غالباً في فصل الصيف وتكون مرتفعة جدًا، وفي فصل الربيع والخريف تكون معتدلة، أما في فصل الشتاء فتنخفض درجة الحرارة حتى تصبح تحت الصفر.

للحرارة فوائد عديدة، تكون في بعض الأحيان عاملاً من عوامل تكوين التيارات البحرية وتبخر المياه وهبوب الرياح وتحرك السحاب، الذي ينتج عن تحركاته تساقط الأمطار، كما أنها تقوم بتدفئة الأرض حتى تنموا النباتات، وتصدر الأكسجين وحامض الكربونيك الذي

---

[1] مجهول، النخبة الأزهرية، المصدر السابق، ص 62.

[2] المصدر نفسه، ص 63.

[3] شاكر خصباك، الجغرافيا عند العرب، دار المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1986م، ص 19.

تأخذه النباتات، وتطرح الأكسجين الذي يستنشق من طرف الإنسان، لهذا يمكن القول بأن الحرارة هي عامل من العوامل الطبيعية التي تساعد الكائنات الحية في العيش في الطبيعة[1].

فالحرارة دائمًا تختلف من مكان إلى آخر على حسب المنطقة المعينة، فتختلف بالبعد أو القرب من خط الاستواء، وتختلف بحسب الارتفاع على مستوى البحر، وتختلف من الجبال إلى السهول والهضاب، والإنسان يكون عاملا في تغيير درجة الحرارة، بفعل المصانع والآلات الميكانيكية[2]، وهذا الاختلاف في درجة الحرارة في بعض الأحيان يؤدي إلى جوائح طبيعية.

4.1.2.2. جائحة الرطوبة والتكاثف

لعبت العوامل المناخية دورًا مهمًا في بلاد المغرب الإسلامي من تشكيل الحياة الاقتصادية والاجتماعية ومن بين هذه العوامل، كانت الرطوبة والتكاثف عنصرين مؤثرين خاصة في المناطق الجبلية والساحلية مثل: سواحل المغرب والجزائر وتونس، حيث كانت تتمتع بنسبة رطوبة أعلى نتيجة لقربها من البحر المتوسط وتأثير التيارات البحرية، أما المناطق الداخلية والصحراوية، فقد كانت تعاني من مناخ جاف، لكن التكاثف الناتج عن التغيرات الحرارية كان يوفر بعض الرطوبة، خاصة في الوحاة والجبال.

أ- الرطوبة

هي عامل من العوامل الطبيعية التي تساعد على عيش الإنسان في الطبيعة، فهذه الرطوبة تصدر عن تبخر الماء الذي يتبخر بسبب الحرارة، وتتمثل في مياه المحيطات والبحار والسدود والأنهار والأودية والبرك وغيرها من المياه التي تتبخر وتشكل سحاب بعد أن يتجمد وينزل على شكل أمطار، وبرد وثلوج، ومياه هذا التساقط يستفيد منها الإنسان والنبات والحيوانان.

[1] مجهول، النخبة الأزهرية، المصدر السابق، ص 62.
[2] لمصدر نفسه، ص 63.

ب- التكاثف

هو البخار الذي يتشكل عن الحرارة من المياه السطحية ثم يتكاثف هذا البخار ويصبح بخارًا عاتـما، ثم يشكل ضبابا وسحبا وندى وأمطارا وبردا وثلوجا بعد أن ترتفع درجة برودته[1]، ومظاهر الرطوبة والتكاثف في بعض الأحيان ينجم عنها جوائح طبيعية.

فمن التكاثف والرطوبة تتأثر البيئة والاقتصاد مثل الزراعة والري: ساعدت مستويات الرطوبة والتكاثف في دعم الزراعة في المناطق المرتفعة مثل الأطلس الكبير والصغير، حيث كانت الأمطار والتكاثف الليلي يساهمان بالحفاظ على التربة الزراعية.

أما المعمار والتخطيط الحضري التي شهدته بلاد المغرب الإسلامي للفنون العمارة الإسلامية في المغرب بالمناخ الرطب، فتم تصميم المباني بأساليب تحميها من الرطوبة الزائدة مثل: استخدام الأسقف المقببة والجدران السميكة.

ساعدت الرطوبة الأنشطة الاقتصادية في توفير بيئة مناسبة للزراعة والتجارة، حيث كانت المدن الواقعة في المناطق الرطبة ومراكز مزدهرة للإنتاج الفلاحي والتجاري من أجل توفير حاجيات المجتمع الإسلامي.

2.2.2. جائحة القحط

تعرض مناخ المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط إلى تغيرات مناخية، أدت إلى الجفاف والقحط، بسبب نقص التساقط، وارتفاع درجة الحرارة، فيخلف هذا الجفاف المجاعة الشديدة التي تمس بالإنسان ومختلف الكائنات الحية.[2]

ومن أمثلة ذلك ما سئل عنه الفقيه ابن رشد: عمّن يغير الساقية في وسط الطريق من أجل سقي البستان في عام القحط الذي هلك الزرع، فما حكم هذا؟ أجاب: أن في حلة قحط

[1] المصدر نفسه، ص 63.

[2] ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 114.

وغير الساقية في الطريق لسقي الزرع وهذا الماء يهلك الطريق فعلى القاضي ينادي بالشهود ويمنع هذه الساقية التي تجري في طريق العامة ويعيق سيرهم[1].

كما وفي نفس المسألة سئل الفقيه ابن رشد عمن اكترى أرض ثم زرعها وبعدها أغرقها المطر ثم القحط هل يلزمه الكراء أم لا؟ فأجاب الفقيه: إذا أصابه القحط فلا كراء عليه، وسئل عمن اكترى زرعا وأصابه القحط أو حمله السيل أو انقطع الجبل على هذه الأراضي؟، فأجاب: أن لا كراء عليه[2].

فالجفاف ينتج عن ظاهرة انحباس المطر وقلة الماء التي يحتاجها الكائن الحي، لذلك سمي بالجائحة المائية، بعد أن تصبح الأرض بدون ماء، الذي يقضي على الكائن الحي سواء كان نباتا أو حيوانا أو إنسانا، فمن هذا الجفاف يختل التوازن البيئي بسبب انقراض بعض الكائنات الحية، وهذا الجفاف يمسّ كل بلدان العالم من فترة إلى أخرى، وتذكر النوازل الفقهية خلال القرنين (07- 08هـ/ 13- 14م) أنه كلما حل الجفاف انتشر الوباء والمجاعة، لذلك نجد النوازل الفقهية تتحدث عن هذه الجائحة التي مست الكائنات الحية.[3]

جاء في المدونة: عندما يكتري مزارعاً أرضًا فأقحطت السماء وجفّت الأرض أو نزل الفيضان وغرقت الأرض وفسدت الآبار والبرك والينابيع، فلم يستطع المزارع أن يزرع وإذا زرع لم يجني الثمار، فلا كراء عليه، وإن النقد رجع به، وإذا حصد قليلا فلا كراء عليه وإن حصد كثيرًا يجب عليه الكراء.

فمن اكترى دابة من أجل العمل بها ولكن توقف عن العمل لسبب المطر والغزير مثل الفيضان حتى غرقت الأرض أو مرضت هذه الدابة ولم تعمل، فكانت الإجابة: فعليه كراء

[1] ابن رشد القرطبي المالكي، فتاوى ابن رشد، تح: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987م، ج1، ص 1289.

[2] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج3، ص 638.

[3] نوال بلمداني، نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (04- 05هـ/ 10- 11م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الأثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013 – 2014م، ص 48.

ما حبسها، وكذلك الكراء الأول، هذا القول من نوازل الفقيه أبي عبد الله سيدي محمد المهدي[1].

كما ذكر الونشريسي في المعيار، عن أبي العباس المراكشي بما نصه : "هذا الكلام صحيح في نفسه، غير أنه لا يستفاد جميعه من الآية الكريمة، ومن أين يلزم من سبق جميع المصائب أو غيره من الفرج بما أتي وأين وجه أخذه من الآية الكريمة؟ «ما أصاب من مصيبة»[2].

فإذا عدنا قليلا إلى الفترات الزمنية السابقة مثل: أيام زناتة ومغراوة وبني يفرن في فترة ما بين (380هـ- 462هـ/ 990– 1069م)، شهدت بلاد المغرب الإسلامي عامة وبلاد المغرب الأوسط خاصة قحطا شديدا، كما شهدته جل الدول المجاورة، فانتشرت المجاعات والأوبئة الفتاكة التي دامت ثلاثة سنين، وظهور كسف بالشمس، وبعد مدة نزل المطر ونبت الزرع وانتعشت البهائم والدواب وكل الكائنات الحية.[3]

ففي سنة (336هـ/ 947م) ظهر قحط شديد الذي ولّد الغلاء على الناس[4]، وفي سنة (411هـ/ 1020م) اشتد القحط في مدينة تاهرت إلى أن كثر الفناء والموت في الناس[5]، قال ابن حوقل صاحب صورة الأرض" وقد تغيرت تاهرت عمن كانت عليه، وأهلها وجميع من قاربها من البربر في وقتنا هذا فقراء بتواتر الفتن عليهم ودوام القحط وكثرة القتل والموت"[6]، كذلك من الجوائح البشرية التي تضر بالكائنات الحية مثل: التي تولد الحرائق النهب والسرقة والقتل وأخذ أرزاق الناس بدون حق، فمن هذه الأحداث ينتج عنها المجاعة التي تصدر الأوبئة الفتاكة بالكائنات الحية في الطبيعة.[7]

---

[1] أحمد بن سعيد بن يشتغري (ت516هـ)، اللورقي المالكي، تح: قطب الريسوني، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2008، ص 297.

[2] حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983، ج01، ص 84.

[3] ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 115.

[4] المصدر نفسه، ص 100.

[5] المصدر نفسه، ص 118.

[6] أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1992م، ص 93.

[7] نوال بلمداني، المرجع السابق، ص50.

يعتبر الجفاف من أخطر الجوائح الطبيعية التي تؤدي بهلاك الإنسان والحيوان والنبات، بسبب جفاف الزرع ويبس الضرع في فصل الربيع، ولا يجد الإنسان ما يأكله وما يخزنه لأيام استهلاكه، فيهلك الإنسان والحيوان. هناك إشارة إلى أن سكان المغرب الأوسط سنة (679هـ/ 1280م) بسبب سنين القحط لم يجدوا ما يأكلونه، فأكلوا القمح فريكاً[1].

وفي عام (711هـ/ 1311م) لـمّا حل القحط بالمغرب الأوسط وجفت الأرض، خرج أمير المسلمين عثمان بن يغمراسن لإقامة صلاة الاستسقاء من أجل طلب الغيث، فهذا القحط كانت بداية جذوره من سنة (708هـ/ 1308م)، حيث دام هذا القحط حوالي 10 سنوات على التوالي إلى سنة (723هـ/ 1323م)، حتى سنة (726هـ/ 1326م) واختلطت العواصف الرعدية مع جائحة القحط فتأزمت الأوضاع وسادت المجاعة[2]، كذلك سنة (800هـ/ 1400م) أكل الناس العشب وانتشروا في بقاع الأراضي من أجل البحث عن الكلأ.[3]

وفي سنة (926هـ / 1020م) توقف هطول الأمطار وجفت الأرض ويبس الزرع وجف الضرع، إلى أن أصبح أهل البلاد يعتمدون على السواقي والعيون والأودية والأنهار والآبار والبرك من أجل الحصول على الماء من أجل السقي والشرب.[4]

سئل الفقيه الشيخ أبو الحسن القزويني عن فرار الناس من بعضهم البعض في فترة الوباء؟ فأجاب من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم قال:"[لا عدوَى ولا طِيَرَةَ]" كذلك قال: "[لا يحلُ المُمْرِضُ محلَّ المصِحِّ حيثُ شاء]"، واختلف الفقهاء في تفسير هذه الأحاديث، أما الونشريسي فيرى أن هذا الحديث ينطبق على الناس في فترة الوباء وتمسك الناس به[5].

وسئل الفقيه ابن رشد عن جائحة الضَّرّ والقحط قال: إذا أصاب الزرع جائحة الضَّرّ ثم سلم الزرع من هذه الجائحة وبعدها أصابتها جائحة القحط ولم يسلم من هذه الجائحة

[1] محمد حسن، المرجع السابق، ج01، ص 604.
[2] عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص 33.
[3] محمد حسن، المرجع السابق، ج01، ص 604.
[4] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص 160.
[5] الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص 352.

وهلك الزرع[1]، فأجاب الفقيه حيث قال: إذا سلم من الصر وأهلكه القحط فالكراء عنه ساقط[2].

نستطيع القول من خلال الوقوف على جائحة الجفاف[3]، أن المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط تعرض للجفاف والقحط مثل باقي البلدان الأخرى المجاورة بالمغرب الأوسط ، ويعد الجفاف من أصعب الجوائح الطبيعية الأخرى التي شهدها المغرب الأوسط[4]، لأن الماء هو كل شيء بالنسبة للكائنات الحية، وهذا لتعدد استخداماته (الشرب، سقي المزروعات، سقي الحيوانات، البناء والغسل، الصناعة وغير ذلك من مجالات استخدامه.[5] وهذا لقوله تعالى: {وجعلنا من الماء كل شيء حي}.[6]

3.2.2. جائحة التصحر

تعتبر ظاهرة التصحر من الجوائح الطبيعية مثل القحط والجفاف والفيضان والرياح والثلوج وغيرها من الجوائح الطبيعية التي مست المغرب الأوسط خلال القرنين (07- 08هـ/ 13- 14م)، فتبدأ ظاهرة التصحر من جنوب الصحراء الكبرى نحو الشمال حيث الهضاب العليا وتلول بلاد المغرب الأوسط، فتهب الرياح العاتمة القوية من الجنوب نحو الشمال بحملها لكميات معتبرة من الرمال ونشرها على باقي أقاليم المغرب الأوسط، إلى أن تتغطى مساحات شاسعة من التربة الخصبة بالرمال الصحراوية، التي جاءت بها الرياح من الجنوب إلى المناطق الوسطى.

ونستفيد من نوازل تتحدّث عن الأكرية أنّه وإذا هلك الزرع بالثلج أو الجليد أو البرد أو جائحة أخرى فوجب الكراء، وإن هلك الزرع بالمطر أو الجليد وشهد أنه غرق الزرع كله،

---

[1] ابن رشد القرطبي المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 1284.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج08، ص 166.

[3] مجهول، تطور العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 10 ، المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ، الرباط، 1988م، ص88.

[4] نورالدين غرداوي، المرجع السابق، ج01، ص 71.

[5] نوال بلمداني، المرجع السابق، ص 51.

[6] سورة الأنبياء، الآية 30.

بعيان الشهود وبعدها نبت الزرع فلا كراء عليه، وإن انكشف في الإبان وجب الكراء عليه[1]، وإن اجتاح الجراد المزارع وعلم كل الناس به فلا كراء عليه في تلك المدة التي يكون فيها الجراد، وإذا كان الجراد بيض في الأرض بمثابة الدود وأكل المزروع فتوقف الزارع عن البذر خوفا من الجراد فهنا لا كراء عليه في هذه المدة[2].

ومن خلال هذا النّص الذي يعدّد الجوائح المانعة لاستيفاء صاحب الأرض حقوق كرائه للمستفيد وقت الجوائح التي منعت المستفيد قسرا من الأرض، إذ يعدّد الفقيه المفتي أنماط الجوائح الطبيعية التي اعتاد عليها الساكنة وفي أغلبها كانت تنشأ عن الجفاف أو عدم انتظام الأمطار كما كانت ومن جهة أخرى سببا فيه خاصة الجراد الذي يستهلك النبات الطبيعي ويقضي على الغلال والخضر والفواكه المغروسة فيكون سببا للقحط والجفاف.

4.2.2. الرياح

عرّف صاحب النخبة الأزهرية: "الرياح هي عبارة عن حركات الهواء الانتقالية التي تحدث على الأخص بسبب اختلاف في درجة الحرارة بين نقطتين من الكتلة الجوية".[3]

فعندما تكون الأقاليم الاستوائية ذات حرارة مرتفعة والأقاليم القطبية ذات برودة مرتفعة فيكون الجو في الطبقات الجوية معتدل، فعند تصادم التياران الهوائيان الحار بالبارد يمثل اعتدال جوي.

1.4.2.2. الرياح التجارية

تعتبر رياح دائمة تهب بين المدارين من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي من نصف الكرة الشمالي، ومن الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي من نصف الكرة الجنوبي والرياح التجارية العكسية: تهب عكس الرياح التجارية من خارج المدارين.[4]

[1] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج03، ص 390.
[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج 08، ص 164.
[3] مجهول، النخبة الأزهرية في تخطيط الكرة الأرضية، المصدر السابق، ص 65.
[4] المصدر نفسه، ص 65.

2.4.2.2. الرياح الموسمية

فهي التي يكون منبعها من الرياح التجارية التي تكون في شهر أكتوبر حتى شهر أفريل التي تهب من الشمال الشرقي، ومن شهر أفريل حتى شهر أكتوبر تهب من جهة الجنوب الغربي، دائما تتكون في المحيط الهندي وتتشكل من حرارة الهواء في قارة آسيا في وقت الصيف أو تكون في فصل الشتاء بقارة إفريقيا وفي بعض الأحيان تتشكل عنها عواصف قوية.[1]

3.4.2.2. رياح البر والبحر

هي عبارة عن الرياح الدورية اليومية التي تهب على سواحل البلاد الحارة من البر إلى البحر أثناء الليل ومن البحر إلى البر أثناء النهار وسببها أن حرارة الشمس في النهار تسخن هواء البر أكثر من هواء البحر فيخفف فيصعد إلى الأعلى ويأتي هواء أخر من جهة البحر لكي يملأ الخلاء. والبر يبرد ليلا قبل البحر فيبقى هواء البحر ليلا أسخن من هواء البر فيصعد ويأتي هواء من البر لكي يملأ الخلاء وهكذا".

4.4.2.2. الرياح المتغيرة

فهي رياح تهب في كل وقت وفي كل فصل دون انتظام، وتهب من كل جهات البلاد وفي أي لحظة، وفي بعض الأحيان تهب باردة وفي الأحيان الأخرى تهب حارة، أما الرياح الموضعية: في مصر وفي شرق الشام، التي تخرج من الصحراء الكبرى الإفريقية تسمى برياح السموم، إلى أن تقتل الإنسان بسبب نزيف من الرأس أو الرئتين بسبب الريح الحارة جدًا[2].

ومن ما يدلّ على شيوع هذا النوع من الجوائح هو ما طرح على الفقيه اللخمي لما سئل عن الريح العاتمة التي تعتبر جائحة طبيعية فتسبب حرائق المزارع بسبب النيران التي يوقدها الإنسان، أو الأمطار الغزيرة التي تغرق الأرض ويوجهها الجار إلى جاره أو إلى المزارع

[1] المصدر نفسه، ص 66.

[2] المصدر نفسه، ص 66.

فتغرقها، فحذر منها ابن رشد الفقيه منها وقائلا ضمان للخسائر المترتبة عليه لأنها من الجوائح الطبيعية ويمنع الإنسان في مساهمة أسباب هذه الخسائر المترتبة عنها[1].

وفي الفترة الوسيطة الباكرة سجّلت المصادر هبوب الرياح العاتية ففي سنة (307هـ/ 919م) وسنة (355هـ/ 966م) كان فيها ريح شديدة السواد التي اقتلعت الديار والأشجار[2]، أما في سنة (379هـ/ 989م) هبت رياح شرقية قوية عامة ببلاد المغرب، التي دامت ستة أشهر إلى أن ظهر بعدها الوباء[3]، فهذه من الظروف الطبيعية التي تؤثر على النشاط الفلاحي وإتلاف المحصول الزراعي حتى في بعض الأحيان يسقط الكراء[4]، كما هبّت في سنة (382هـ/ 992م) ريح شديدة هدمت مباني إفريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، وأفسدت الحقول بالأشجار ونزعها الثمار، وبعدها ضرب كسوف، وفي سنة (485هـ) هبت ريح قوية هدمت مباني تلمسان بالمغرب الأوسط وما يجاورها، فاقتلعت الأشجار حتى أصبحت الحيوانات تسير ما بين السماء والأرض[5]، فإذا انتقلنا في دراستنا إلى القيروان فإنّنا نقول أنّه في سنة (307هـ/ 919م) هبت ريح مظلمة صفراء، دامت أيامًا، وسدت الأفق حتى كان الرجل لا يرى جليسه".[6]

شهد المغرب الأوسط خلال القرنين (07- 08هـ/ 13- 14م) رياح قوية عنيفة، صوّرها لنا ابن أبي زرع بقوله: "وفيها كانت الريح الشديدة التي هدمت المباني".[7]

وقال الفقيه الزاهي: "إن سقطة الثمرة بريح وأمكن لقطها فهي جائحة". أما إذا عدنا للفقيه ابن الماجشون حيث قال: "أن ليس بجائحة". أما الفقيه أبو محمد قال: "بأنه جائحة وإن كان له ثمن، لأنه إنما يجذ إذا يبس، إلا أنه إن سقط الثلث، فلا جائحة إذا رجع بعضه

---

[1] أبو القاسم بن محمد بن مرزوق بن عضوم المرادي (ت1009هـ)، كتاب الأجوبة، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الحكمة، تونس، 2009م، ج 10، ص343.

[2] ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 98، 101.

[3] المصدر نفسه، ص 102.

[4] اسماعيل بركات، المرجع السابق، ج01، ص33.

[5] ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 116.

[6] ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان و إ. ليقبروقنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ج1، ص 182.

[7] ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 100

وهو ثمن الساقط. فلو سقط أكثر من الثلث وثمنه مثل الثلث فهو جائحة ويحسب عليه ثمن ما باع"، أما إذا سقط الثلث فهي جائحة وفيها قولان عند الفقيه اللخمي قال: فإن كان بها سموم فقط فتقدر وتعوض، وإن كان مع ثلثها رجع بمناب الساقط[1].

هذه الرياح كانت تفسد المحاصيل الزراعية، وكانت تشكل هاجسا حقيقيا للفلاحين لتأثيرها على محاصيلهم الزراعية، خاصةً الرياح الجنوبية التي تأتي حارة.

أمّا الرياح الغربية، التي كانت تأتي من الجهة الغربية وهي باردة نوعاً ما، أي تكون بين البرودة والرطوبة.[2] فهي أقل خطرا على المحاصيل الزراعية.

جاء في المدونة الجوائح الطبيعية التي تأتي من عند الله تعلى منها: "الجراد والنار والريح والغرق والبرد والمطر والطير والدود وعين الشجرة في الحر والسموم" فهم جوائح، أما الناس واللصوص والعسكر إن لم يعرفوا فهذا يعتبر جائحة، أما الفقيه ابن نافع قال: اللص هو جائحة، أما الفقيهان ابن رشد والباجي ذكر بأن العسكر ليس بجائحة كاللص، أما الفقيه عبد الحق قال: السارق إن لم يعرف جائحة، وإن عرف يغرم ويدفع لشَّاري وليس جائحة، قال الفقيه ابن رشد: "أن لا جائحة في السارق ولا ما يأخذه السلطان"[3].

5.2.2. جائحة الصقيع

الجليد مثل الجوائح الطبيعية التي تطرأ على الطبيعة، وتهلك الكائنات الحية منها النبتات والحيوانات والإنسان عبر مختلف العصور.

عرف صاحب النخبة الزهرية الجليد على أنه: "تساقط المياه الجوية في جهة على حالة الجليد يتعلق بدرجة الحرارة وبعد الجهة عن خط الاستواء وارتفاعها عن سطح البحر فتسقط جليدا في الشتاء فقط في بعض الأقاليم المنخفضة من المنطقتين الممتدتين وفي كل فصل من فصول السنة على قمم الجبال والأقاليم القطبية حيث يكون فيها الجليد دائمًا فيتكون لكتلة ثلجية".[4]

---

[1] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج03، ص 392.

[2] نوال بلمداني، المرجع السابق، ص 52.

[3] ابن رشد القرطبي المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 1615.

[4] مؤلف مجهول، النخبة الأزهرية في تخطيط الكرة الأرضية، المصدر السابق، ص 64.

اجتهد الفقهاء في إيجاد حلول للزراعة التي يصيبها الصقيع(الجليد)، فسئل أحد الفقهاء في نازلة في العصر الوسيط أن من اكترى أرضًا وأهلكها الجليد فأجاب: "إن كان بعد إبان الزراعة فهو كالجليد"، فإن أتلفت الأرض فلا كراء عليه، وإن ظهر في الإبان لزمه الكراء.[1]

مثال: وإذا هلك الزرع بالثلج أو الجليد أو البرد أو جائحة أخرى فوجب الكراء، وإن هلك الزرع بالمطر أو الجليد وشهد أنه غرق الزرع كله، بعيان الشهود وبعدها نبت الزرع فلا كراء عليه، وإن انكشف في الإبان وجب الكراء عليه[2]، وإن اجتاح الجراد المزارع وعلم كل الناس به فلا كراء عليه في تلك المدة التي يكون فيها الجراد، وإذا كان الجراد بيض في الأرض بمثابة الدود وأكل المزروع فتوقف الزارع عن البذر خوفا من الجراد فهنا لا كراء عليه في هذه المدة[3].

6.2.2. جائحة الفيضانات والسيول

تعد الفيضانات والسيول من الجوائح الطبيعية التي تشكل خطرًا على الكائنات الحية (النبات، الحيوان، الإنسان)، والفيضانات مثل كل الجوائح الطبيعية، لها تأثيرها السلبي على الطبيعة، خاصة في المناطق التي تكون فيها قوية، مثل المناطق السهلة والأودية التي تفيض وتخرج إلى الطبيعة وتحصد الأخضر واليابس، فنجد أودية المغرب الأوسط عرفت خلال العصر الوسيط فيضانات على السهول المجاورة لها، التي كانت تسكنها الجماعات البشرية. وهذه الفيضانات والسيول عرفتها البشرية منذ القدم حتى العصر الوسيط ببلاد المغرب الإسلامي، ومنها المغرب الأوسط خلال القرنين (07- 08هـ/ 13- 14م) وإلى يومنا هذا.[4]

في مسألة أخرى: "من اشترى شرب يوم أو يومين أو شهراً أو شهرين فسقى به زرعه فغار الماء أو نقص قدر ثلث الشرب وضع عنه جوائح الثمار" مما أدى به ابن القاسم: "وأنا أرى أنه مثل ما أصاب الثمرة من قِبَل الماء، فيوضع عنه إن نقص شربه ما عليه فيه ضرر بيّن، وإن كان أقل من الثلث أما إلاّ خطب له فلا يوضع له شيء". ومما أدل به الفقيه ابن

[1] الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص 164.
[2] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج03، ص 390.
[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج 08، ص 164.
[4] ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 102.

فتحون: "وتفسير جائحة العطش أنه ينظر إلى تلك الأرض ما يقوم فيها على التوسط وهو حمل السنين ببعضها على بعض، فإنه يقوم للحبة ست حبات على التوسط، فما رفع من الست حبات لزمه ثلث الكراء". وجاء عند الطرار: "لو قال قائل يلزمه في الحبتين شيء لكان عنده مصيبا، لأنه لم ينتفع لما يلزمه في كلفة الحرث والحصاد والدرس أكثر من ذلك"[1].

أشارت العديد من النوازل إلى جائحة الفيضانات والسيول، حيث سئل بعض الفقهاء في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (07هـ- 08هـ/13- 14م) عن اكتراء أرضً وبعدها نزل مطر غزيرً فأتلف المحصول الزراعي إلى أن غرقت هذه الأرض، فأجاب الفقيه: إن كان بعد إبان الزراعة فهو كالجليد، وإن كان في الإبان لو انكشف عنها أدرك الزرع ثانية فلم ينكشف حتى فات فهو كغرقها في الإبان، فلا كراء عليه، وإن انكشف في الإبان لزمه الكراء".[2]

سئل الفقيه عمن اكترى أرضًا دائما بها ماء المطر، حيث أجاب أن المأمونة كأرض النيل وأرض المطر، أما أرض السقي بالأنهار والعيون والآبار والبرك والسدود، فالنقد فيها لأعوام الكثيرة جائز[3].

والفيضانات والسيول هي ناتج الأمطار المتهاطلة والمتساقطة بكميات مرتفعة جداً، فهي من الجوائح التي تطلق اليأس والخوف في نفوس الناس.[4]

سئل الفقيه ابن رشد عمن اكترى أرض ثم زرعها وبعدها أغرقها المطر ثم القحط هل يلزمه الكراء أم لا؟ فأجاب الفقيه: إذا أصابه القحط فلا كراء عليه، وسئل عمن اكترى زرعا وأصابه القحط أو حمله السيل أو انقطع الجبل على هذه الأراضي؟، فأجاب: أن لا كراء عليه[5].

والسيول هي جائحة من الجوائح الطبيعية التي شهدتها الساكنة على مر الزمان في بلاد المغرب الأوسط مثل البلدان الأخرى المجاورة لها، نجد في بعض الأحيان السماء تحبس

---

[1] ابو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج03، ص 390.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص 164.

[3] أبو عبد الله سيدي محمد المهدي، النوازل الصغرى المسماة المنح السامية في النوازل الفقهية، دار مطبعة الفضالة المحمدية، ج03، 1993م، ج 03، ص ص119 – 120.

[4] الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 61.

[5] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج3، ص 638.

أمطارها وينتج القحط والجفاف الذي يفتك بالإنسان، كذلك في بعض الفترات الأخرى ترسل السماء ماءها بدون أن يتوقف المطر لمدة من الزمن، شهر أو أكثر وهي تسقط ليلا ونهارًا، فهذه الأمطار أفسدت كل المحاصيل منها جنات التفاح وغيرها من البساتين.[1]

كما ينتج عن هذه السيول جرف التربة وقلع الأشجار وإتلاف المحاصيل الزراعية وتدمير المباني والطرقات والجسور ومنع الناس من العمل في أراضيهم، أي توقف النشاط الفلاحي.

سئل ابن رشد الفقيه عن شخص نصب بيناء عالي على بيناء جاره مما جعل الرياح العاتمة والفيضانات والأمطار الغزيرة تتجه نحو دار جاره، مما سبب له الأذى من هذه الجوائح الطبيعية، فأجاب: أن الضرر الأكبر يخفي الضرر الأصغر، واستدلّ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: [إذا اجتمع ضرران نفي الأصغر للأكبر وإذا التقى مكروهان ارتكب أخفّهما][2].

فالسيول والفيضانات والقحط تمثل خطرًا شديدا على الطبيعة والكائنات الحية، وعندما يحل القحط بمنطقة ما أو بلد ما وبعده تنزل الأمطار الغزيرة والسيول الدائمة، فيختل التوازن البيئي، وتنجم على هذه الحالة أمراض وأوبئة، التي تتلف النبتات وتفتك بالحيوانات وتقتل الإنسان، إلى أن تمثل أمراض جسيمة في الطبيعة.[3]

جاء في المدونة أنّ الجوائح الطبيعية تأتي بتقدير وتدبير وإرادة الله تعالى ومشيئته منها أنّ: "الجراد والنار والريح والغرق والبرد والمطر والطير والدود وعين الشجرة في الحر والسموم" فهم جوائح، أما الناس واللصوص والعسكر إن لم يعرفوا فهذا يعتبر جائحة، أما الفقيه ابن نافع قال: اللص هو جائحة، أما الفقيهان ابن رشد والباجي ذكر بأن العسكر ليس بجائحة كاللص، أما الفقيه عبد الحق قال: السارق إن لم يعرف جائحة، وإن عرف يغرم ويدفع لشاري وليس جائحة، قال الفقيه ابن رشد: "أن لا جائحة في السارق ولا ما يأخذه السلطان"[4].

[1] محمد حسن، المرجع السابق، ج01، ص 604.
[2] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج04، ص 358.
[3] نوال بلمداني، المرجع السابق، ص 52.
[4] ابن رشد القرطبي المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 1615.

7.2.2. جائحة البرد

ظاهرة البرد مثل الظواهر الطبيعية الأخرى، تماثل الثلج والأمطار والقحط والرياح وغيرها، وربما يتجلى تخيل في مخيلة الإنسان أن ظاهرة البرد تأتي غريبة ومعقدةً نوعا ما، من حيث تشكيل البرد وكيفية تشكله؟ وهو برد باردً جامدً ذا وزن يقارب رطل أو أكثر؟ وينزل في فصل الصيف؟، فنستطيع القول أو الإجابة هذه التي تطرأ في مخيلة الإنسان، أنه يتشكل أثناء العواصف الرعدية وفي كل فصل، حيث تصل فيها سرعة التيار الذي يسير نحو الغيوم إلى أكثر من 160كلم/سا، فيخاف الإنسان إذا هطل المطر ومعه البرد إذا كان وزنه أكثر من رطل، لأنه يفسد كل المحاصيل الزراعية وكل ما تصادف معه من الكائنات الحية سواء الإنسان والحيوان، مثل ما حدث في بلاد المغرب الإسلامي عامة وبلاد المغرب الأوسط خاصة خلال فترة دراستنا.[1]

البرد يأتي البلاد في فترات متقطعة من الزمن، ففي خبر لابن أبي زرع: "نزل برد عظيم كبير الحجر، زنة الحجر رطل وأزيد، قتل الطير والوحوش والبهائم وطوائف من الناس، وكسر الثمار والشجر، وكان ذلك إثر قحط شديد وغلاء عام"[2]. لهذا يعتبر البرد من الجوائح الطبيعية التي عايشها الإنسان في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر والوسيط[3]، وفي سنة (342هـ/ 953م) الذي لم يشهد له أحد، حيث دمر الأهالي وقتل المواشي وهلك المزروعات[4]، فهذه الجائحة تختفي لفترات وتعود إلى غاية القرن (07هـ/ 13م) الذي سادت فيه الجوائح الطبيعية منها ظاهرة البرد.

ومن ما نستنتجه من الفتوى السابقة أنّ لا خلاف في أنّ جوائح: "الجراد والنار والريح والغرق والبرد والمطر والطير والدود وعين الشجرة في الحر والسموم"[5] هي جوائح قسرية حتمية لا يد مباشرة للإنسان فيها على اتفاق بين الفقهاء و المفتين في ذلك.

---

[1] نوال بلمداني، المرجع السابق، ص 53.
[2] ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 100.
[3] نوال بلمداني، المرجع السابق، ص 100.
[4] المصدر نفسه، ص 100.
[5] ابن رشد القرطبي المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 1615.

جاء في كتاب صاحب الاستقصا قوله: "... جاء فيها السيول العظيمة بجميع بلاد المغرب، وكان بها رعود قاصفة وبروق خاطفة ودام ذلك أيامًا ..."، ونحن في دراستنا لهذه الظواهر دائمًا نجد مصطلح بلاد المغرب ككل، وهو الذي يساعدنا على بناء مقاربة إسقاطيه على إقليم المغرب الأوسط بوصفه مكونا رئيسيا من بلاد المغرب ككل، لهذا في دراستنا سلطنا الضوء على بلاد المغرب الأوسط وكان تركيزنا عليها وقمنا بأخذ الجوائح الطبيعية التي تحدث في المغرب ككل عند عدم تدقيق المصادر في قطر المغرب الأوسط بوجه مخصوص.

وعلى إثر التوصيف التاريخي الحدثي لهذه الجائحة وما ذكرته المصادر من كوارث ترتبط به وتحمل صفة الشمولية على قطر المغرب الأوسط وأقطار بلاد المغرب الأخرى فإنّ ضرورة البحث تستدعي منا التعريف العلمي للبرد للوقوف على مدى تأثيره على الطبيعة والإنسان وبأنّه لا يقل خطرا عن باقي الجوائح الأخرى.

يتحدث الباحث عبد الله الجمعان الذي درس ظاهرة البرد التي تعد من الظواهر والجوائح البشرية التي يتعايش معها الإنسان في حياته اليومية منذ القدم، ووجد أنّ هذه الظاهرة من الظواهر المعقدة التي لازال الباحثين إلى يومنا هذا بالدراسة عن تشكل البرد وكيفيته، فيتشكل البرد أثناء العواصف الرعدية التي تصل فيها سرعة التيار المتجهة نحوى الغيمة، أكثر من 60 كلم/سا، لذلك العلماء الحاليون يقومون بمراقبة هذه الظاهرة بأجهزة الأشعة تحت الحمراء منها الرادارات والأقطار الصناعية، فطرأت تساؤلات على المهندس عبد الدايم الكحيلي لإجابته عن الأسئلة من القرآن الكريم، وكذلك بالطريقة الفيزيائية.[1]

حيث نعلم أن القرآن الكريم ذكر العديد من الظواهر الطبيعية التي في بعض الأحيان تكبد خسائر مادية وبشرية، مثل البرد في بعض الفترات من الزمن ينزل بوزن رطل أو أكثر فإذ سقط على الإنسان أو الحيوان فيقتله، وبحفظ من الله عز وجل ينجوا الكائن الحي منه، فلقول الله تعالى: {ألم ترى أن الله يزجي سحابًا ثم يُأَلِّفُ بينه ثم يجعله ركامًا فترى

[1] عبد الله الجمعان، كيفية تكون البرد موقع مركز العاصمة، طريقة فيزيائية، تحجم خسائر بشرية ومادية، يوم 07 / 03 / 2010م. https://www.storm.ae/vb/showth.

الودْقَ يخرج من خلاله وينزِّل من السَّماءِ من جبالٍ فيها من بردٍ فيصيبُ بهِ من يشاءُ ويصرفهُ عن من يشاءُ يكادُ سنَا برقِهِ يذهبُ بالأبصارِ} سورة النور الآية 43[1].

أما و باعتماد تفسير العلماء الفيزيائي التجريبي والإسقاطات الفيزيائية، فنجد تدافع التيارات الهوائية نحوى أعلى الغيوم المتفرقة، فحبات البرد الصغير يشكلها تيار هوائي سرعته 45 كلم/سا، أما حبات البرد المتوسطة يشكلها تيار هوائي سرعته 88 كلم/سا، أما حبات البرد الكبير يشكلها تيار هوائي بسرعة 160 كلم/سا، وبعدها تتراكم الغيوم في السماء ثم تتشكل قطرات المطر، ثم تتجمع في درجة حرارة تحت الصفر، ثم تتشكل حبة البرد، إذا كانت حبة صغيرة يستغرق وقت تشكلها من 05د إلى 10د، بعد أن تتجمع ملايين من قطرات الماء حتى أن تشكل حبة برد بقطر 15 سم، التي تنزل من حوالي 18 كلم حتى تصطدم بالأرض بسرعة 180 كلم، لذلك يسبب البرد خسائر بشرية ومادية[2].

ويبدوا أنّ أقاليم المغرب الأوسط كانت تعاني من ظاهرة البرد الناجم عن توالي تساقط البرد والجليد إذ جاء أنه وإذا هلك الزرع بالثلج أو الجليد أو البرد أو جائحة أخرى فوجب الكراء، وإن هلك الزرع بالمطر أو الجليد وشهد أنه غرق الزرع كله، بعيان الشهود وبعدها نبت الزرع فلا كراء عليه، وإن انكشف في الإبان وجب الكراء عليه[3].

8.2.2. جائحة الثلوج

تعتبر الثلوج من الظواهر الطبيعية، وإذا كانت كثيفة جدا تتحول إلى جائحة من الجوائح الطبيعية، وذلك لتأثيرها السلبي على الكائنات الحية، عند تغطيتها للفضاءات المجالية التي يقتات منها الإنسان سبل عيشه، وبلاد المغرب الأوسط تعرضت إلى العديد من العواصف الثلجة العاتمة لمدة من الزمن، خاصة في مرتفعات وجبالها الوعرة والهضاب العليا.

يقول صاحب النخبة الأزهرية في تعريف الكتل الثلجية: "الكتلة الثلجية هي عبارة عن جليد يتراكم فوق بعضه البعض كالجبال وقد يبلغ طول الكتلة الواحدة 20 كلم وسمكها

[1] سورة النور، الآية 43.

[2] عبد الله الجمعان، المرجع نفسه.

[3] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج03، ص 390.

100م، على الجبل"، فهذه المناطق سواء تكون في أوروبا مثل جبال الألب أو في جبال المغرب الإسلامي، فتبدأ هذه الكتل الثلجية بالذوبان عند ارتفاع الحرارة أو عند وصول فصل الصيف، فالثلوج تكون في المناطق المرتفعة على مستوى البحر، سواءً في بلاد المغرب أو أوروبا أو أمريكا أو آسيا.[1]

ومما يدلّ على شيوع الجوائح بسبب الثلوج هو ما جاء في النازلة السابقة لمّا ابتدأ خطاب المفتي بخطر جائحة الثلج "وإذا هلك الزرع بالثلج أو الجليد أو البرد أو جائحة أخرى فوجب الكراء، وإن هلك الزرع بالمطر أو الجليد وشهد أنه غرق الزرع كله، بعيان الشهود وبعدها نبت الزرع فلا كراء عليه، وإن انكشف في الإبان وجب الكراء عليه[2]"، والثلوج كما هو معلوم كانت تغطّي كل أقاليم الهضاب العليا والمنطقة التلّية ممّا يجعل خطرها عاما في بعض السنوات حيث المناطق الكثيفة السكان والكثيفة النشاط الفلاحي والزراعي وهو ما أكدته نوازل أخرى جاء بعضها في الكتابات المنقبية.

يقول أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني: "حدثني عمي رحمه الله تعالى، أنه كانت له مطامير من القمح والفحم، وكان يعد اللحم المدخر، المعروف بالمسيلي، وبالخليع والزيت، فإذا كان يوم الثلج، فتح مطمورة من القمح وأخرى من فحم، ويتصدق بالزرع والفحم والإدام طول يومه، فلا يرجع إلى داره حتى يفرغ من المطمورتين"[3].

فالثلوج تظهر في جميع البلدان وعلى ممر الزمان، منها بلاد المغرب الأوسط التي تتعرض لهذه الجائحة الطبيعية وتولد خسائر بشرية ومادية، خاصة تأتي في فصل الشتاء البارد الذي يتجمد فيه الماء مثل البرد، وهذه الثلوج شهدها الإنسان في العصور القديمة حتى العصر الوسيط مثل ما لاحظناها في العهد الفاطمي و في عهد الدولة الزيانية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (07– 08هـ/ 13– 14م)، وهذه الجائحة كان أهل البلاد يحضرون لها باللباس والغطاء والزاد ربما تدوم أيام طويلة، وإرشاد الفقهاء والحكام لأهل البلاد بالتوعية والتبليغ عن الأيام التي تسقط فيها.

---

[1] مجهول، النخبة الأزهرية في تخطيط الكرة الأرضية المصدر السابق، ص 64.

[2] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج03، ص 390.

[3] أبي عبد الله محمد بن مرزوق التِّلمساني (781هـ)، المصدر السابق، ص ص190 – 191.

3.2. جائحة الحيوانات البرية

شهدت بلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط العديد من الحيوانات المفترسة الغير اليفة التي تعيش في البراري، ولم تقتصر هذه على هذه الحيوانات فقط بل شملت الطيور والجراد والحشرات والبكتيريا القمل والبعوض وغيرها.

1.3.2. جائحة الجراد

يعتبر الجراد من الجوائح الطبيعية التي أثرت على الكيان الإنساني والاجتماعي من خلال هجماته على المزارع وأكل الثمار والمنتجات التي يستغلها الإنسان لصالحه[1]، جاء في المدونة الجوائح الطبيعية التي تأتي من عند الله تعلى منها: "الجراد والنار والريح والغرق والبرد والمطر والطير والدود وعين الشجرة في الحر والسموم"[2].

والقمليات والخشاش هم من الجوائح التي تؤثر على الإنسان[3] مثل الجراد الذي يتواجد عبر العصور إذ يأتي ويذهب من فترة إلى أخرى، ففي سنة (381هـ/ 991م) أتى جراد كثير لا يعد ولا يحصى، الذي اجتاح على بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، حيث بقي ثلاث سنين إلى أن حصد الأخضر واليابس[4]، مثلما عم الجراد كل أجزاء بلاد المغرب الإسلامي سنة (377هـ/ 987م)، منها بلاد المغرب الأوسط حتى أكل كل المحاصيل الزراعية ولم يترك شيء فاجتاح على البلاد كلها.[5]

كما شهد المغرب الأوسط خلال سنة (406هـ/ 1015م) جرادا كثيرا، ألحق ضررا كبيرا بالمحاصيل الزراعية، التي نشب عنها غلاء وعدم القدرة الشرائية لسكان المغرب الأوسط، فحدثت هذه الظاهرة مع اختلاف الحكام في المغرب الأوسط، منهم سير المعز إلى بلاد

---

[1] الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 63.

[2] ابن رشد القرطبي المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 1615.

[3] أبو الأصبع عيسى بن سهيل بن عبد الله الأسرى (ت486هـ)، الإعلام بنوازل الأحكام المعروف الأحكام الكبرى، تح: نورة محمد عبد العزيز التويجري، دار بلد، 1995، ص 746.

[4] ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 116.

[5] المصدر نفسه، ص 102.

القبائل البربر وغيرهم[1]، فكان الجراد يأتي في بعض الأحيان بكثرة على شكل أسراب وموجات متتالية على بعض مناطق المغرب الأوسط، مثلما نزلت جموع الجراد في أراضي وادي آريغ[2] خلال القرن (5ه/ 11م)، بعد أن أتلفت كل المحاصيل الزراعية المتواجدة على وادي آريغ.[3]

يشير الفقيه أحمد بن يحيى الونشريسي في إحدى النوازل إلى الجراد خلال القرنين (07-08ه/ 13- 14م)، وكيفية تعامل الفلاحين وأصحاب الأراضي الزراعية التي قضى عليها الجراد بالمغرب الأوسط، من خلال خوف الفلاحين من هذه الأسراب والجموع التي تحل بالمحاصيل الزراعية، لذلك قام الفقهاء بإصدار بعض القوانين والفتاوى التي تزيل أعباء الكراء على الفلاحين، حيث سئل أحد شيوخ الفقهاء على أرض بها محصول زراعي واجتاح عليها الجراد وقضى عليها، قال: "لو أتى الجراد إبَّان الحرث فعلم الناس أنهم إن زرعوا شيئًا أكله الجرادُ فامتنعوا لذلك فلا شيء عليه في تلك المدة.. قيل يريد أنه باض في تلك الأرض بحيث يعلم أنه إذا ظهر أكل الزرع فهو بمنزلة الدود في الأرض يأكل الزرع، ونص عليه الباجي قال: إذا اكترى الأرض على أن تزرع بطوناً فزرع الأولى فأكلها الجراد وكثر الجراد حتى خاف أن يزرع غيرها فيأكلها الجراد فلا كراء عليه إلاَّ قدر ما أقام الزرع الأول خاصة، ولا شيء عليه فيما أقام من المدة لأنه أتاه ما منعه من زرعها بقية المدة".[4]

وتفيد دراسة مهمّة متخصّصة في الكوارث الطبيعية بأن الجراد خطره جسيم وقوي وخطير على الإنسان والكائن الحر بسبب إتلاف الموارد الزراعية، حينما يأتي في شكل جموعٍ في بعض السنين عبر العصور، حتى أنه يخلّ بالتوازن البيئي الذي ينتج عنه المجاعات وبدورها تصدر الأمراض والأوبئة، ويذكر بعض المؤرخين أنه كلما كانت مجاعة لازمها الوباء، وهذه الأمراض والأوبئة تعود إلى سوء التغذية بالدرجة الأساس، فكان الجراد يعمر المناطق

[1] ابن الأثير (555- 630ه)، الكامل في التاريخ، تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، السعودية، د سنة، ص 1358.

[2] وادي أريغ: الواقعة في سمته بلد وارجيلان حتى جهة التلال وتعتبر من واحات الشرقية للصحراء الجزائرية التي تسمى إلى حدي اليوم وادي أريغ. عبد الرحمان ابن خلدون، ج2، ص2397. الشيماخي أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، كتاب السير، تح أحمد بن السيابي، ط2، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1412ه/1992م، ج3، ص 827.

[3] نوال بلمداني، المرجع السابق، ص 66.

[4] الونشريسي، المصدر السابق، ج08، ص 164.

الصحراوية ذات المناخ الحار، وبالكاد تكون مواتية له، وتعتبر المناطق الصحراوية موطن انبعاث الجراد منه إلى بلاد المغرب الأوسط وغيرها من المناطق الأخرى.[1]

ووقوع بلاد المغرب الأوسط متوسطة الشمال الإفريقي جعلها عرضة للجراد الإفريقي الذي يتكاثر في وسط جنوب القارة الافريقية وللجراد المحلّي الموسمي وهو ما يمكن أن نفهمه من النازلة السابقة : "وإن اجتاح الجراد المزارع وعلم كل الناس به فلا كراء عليه في تلك المدة التي يكون فيها الجراد، وإذا كان الجراد بيض في الأرض بمثابة الدود وأكل المزروع فتوقف الزارع عن البذر خوفا من الجراد فهنا لا كراء عليه في هذه المدة"[2].

إضافة إلى ذلك فإنّ الجراد سريع التكاثر بشكل كبير، ويشبه السمك في بيضه الكثير والمتناثر في كل مكان، لذلك حاول الإنسان منذ القدم إلى غاية فترة دراستنا بحرق الأماكن التي بها مجمعات الجراد من أجل القضاء عليه وبيضه، ويتميز الجراد بميزة عدم السير والطيران في الوقت البارد مثل فترة الليل والصباح، فيقوم الإنسان في هذا الوقت بحرق مجمّعاته[3]، فمن هذه الجموع المتتالية على بلاد المغرب الأوسط التي تفتك بالأخضر واليابس وقللت من المستوى المعيشي سواءً للإنسان أو الحيوان فلجأ الإنسان للجمع وحرق أماكن الجراد، لكن عجز الدولة على إيجاد حلول لتخلص من هذه الجائحة التي حلت بهم، فنظروا إلى حل أخر وهو التعامل بالوصفات الغريبة التي تعتمد على الكهنوت والطلاسم والشعوذة.[4]

فإذا عدنا إلى الجغرافي الإدريسي الذي ذكر في رحلته أن المجتمع في تلك المرحلة كانوا يأكلون الجراد بكثرة حيث قال: "ويأكلون الجراد أكلاً كثيراً مقليا ومملحا"[5]، حتى أن اعتبر سكان أهل بلاد المغرب الأوسط في الجنوب أن هذه الحشرة فهي بلاء من غضب الله عليهم،

---

[1] عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق6-8هـ/12-14م)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2008م، ص 63.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج08، ص 164.

[3] نوال بلمداني، المرجع السابق، ص 67.

[4] عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص 65.

[5] محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المجلد 01، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م، ص 228.

و من جهة أخرى نجدهم يأكلون الجراد أينما وجدا حتى يتخلصوا من هذا العبء الذي سلطته الله عليهم، و أضحى الجراد يباع في أسواق جنوب المغرب الأوسط.[1]

وفي هذا السياق يذكر الفقيه الونشريسي بعض مشاكل الفلاحة حيث أنه ذكر الجراد الذي اجتاح على المحاصيل الزراعية المكتراة أرضها مثل في قوله سئل الفقيه القاضي أبو محمد عبد الرحمان اليزناسي عمن اكترى أرضا وغرسها ثم اجتاح عليها الجراد، فأجاب لا شيء على مكتري الأرض من كرائها[2].

سئل الفقيه ابن أبي زيد عن الرمان والتين والخوخ الذي يطيب بطن عن بطن؟ فأجاب: "سبيله سبيل ما توضع فيه ثلث الثمرة بثلث الثمن".

ثم سئل عد الدود الذي يأكل ورق التوت هل توضع الجائحة فيه؟ فأجاب: "نعم توضع الجائحة إن لم يجد مشترى له"، وإن جاء من يشتريه بثمن زهيد؟ فأجاب: لا توضع عنه الجائحة[3].

إذا انتشر واجتاح الجراد على المناطق الزراعية فلا يترك شيء للإنسان والحيوان حتى أن يخلف المجاعة التي يصدر عنها الوباء والطاعون لسوء التغذية، فقد قال القزويني في هذا الشأن "إذا رعت أيام الربيع طلبت أرضا طيبة التربة رخوة، ونزلت هناك وحفرت بأذنابها حفراً وباضت فيها كل واحدة مائة بيضة وطارت، وآفتها الطيور والبرد، ثم أتت أيام الربيع واعتدل الزمان يفقس ذلك البيض المدفون، ويظهر مثل الذباب الصغار على وجه الأرض، وأكلت زرعها حتى قويت، ثم تنهض إلى أرض أخرى وباضت كما فعلت في عامها الأول وهكذا دأبها".[4]

قال: "إذا أكل الدود الزرع الثلث أو أكثر فعليه رد الساقط أو حبسه ولا يحط عنه شيء"، وإن سقط منها الثلث فله حبسه ويحط عنه بما سقط وما أكله الدود، وإن اشتراه في وقت نموه وبعدها أجيح هذا الزرع ويبس فلا جائحة فيه.

---

[1] نوال بلمداني، المرجع السابق، ص 67.
[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج08، ص 275.
[3] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج3، ص 398.
[4] نوال بلمداني، المرجع السابق، ص 67.

قال ابن رشد إذا أصيب الزرع قبل نضجه فيه اتفاقًا، "وما أجيح بعد إمكان جذاذه بعد طيبه وقبل مضي ما يؤخر إليه جذه عادة تجري على اختلاف قول مالك"[1].

ويلاحظ أنّ جائحة الجراد جاء ذكرها في كل المصادر تقريبا بسبب تمركز الجراد الإفريقي في وسط إفريقيا وتكاثره في المناطق الاستوائية بسبب المناخ الملائم والغطاء النباتي الكثيف والمتنوّع بجانب أنهار السنغال وبحيرة تشاد ومناطق حوض النيل ليتوجّه بعدها إلى بلاد المغرب شمالا.

2.3.2. جائحة الحيوانات المفترسة والهوام

تعتبر الحيوانات المفترسة عاملا من العوامل التي تأثر على الكائنات الحية، ومن هذه الحيوانات الأسود والذئاب وغيرهما من الحيوانات المفترسة التي تشكل خطراً في المراعي الطبيعية والمناطق السكانية مثل: منطقة تاهرت وبجاية وتلمسان وغيرها من المدن، فكانت هذه الوحوش المفترسة تشن هجوم على الرعاة وتأخذ ما طاب لها من الأغنام والأبقار وتلحق ضررا بالإنسان وحياته، وكانت تدخل هذه الوحوش المفترسة القرى عندما يحل الظلام وتثب على الحيوانات الأليفة في خيامها.[2]

كانت بلاد المغرب الأوسط مليئة بالذئاب المفترسة التي كانت تهدد الثروة الحيوانية، وتشكل خطرًا على الإنسان الذي يخرج في أوقات الليل، خاصة عندما يكون الناس نياما، فيذكر الفقيه البرزلي في نوازله "الوحش العادي" الذي كان يخافه الرعاة في وقت القائلة أو الليل عند خروجه.[3]

شكلت الأسود خطراً على ساكنة بلاد المغرب الأوسط وثروتها الحيوانية، وعجز ساكنها مواجهتها، فكانت هذه الأسود تدخل الأماكن المحروسة والمخصصة للأغنام والأبقار، في أوقات الليل وفي منتصف النهار، فتأكل هذه الحيوانات، ولم يسلم الإنسان منها إذا وجد في

[1] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج3، ص ص392 - 393.
[2] نوال بلمداني، المرجع نفسه، ص 64.
[3] البرزلي، المصدر السابق، ج06، ص 558.

مكان خالٍ، وتعيش هذه الأسود في الأماكن الباردة، وإذا ارتفعت درجة الحرارة زادت شراستها.[1]

يذكر الفقيه الونشريسي في إحدى نوازله، سئل عنها أبو عمر بن المكوي: "عمن استأجر راعيًا لغنمه فلما خرج الراعي بها المسرح ترك الغنم ورجع إلى المدينة ثم انصرف إليها عشية فوجدها قد نقصت ولم يدر متى زالت أوقات رجوعه أم قبل".

فأجابه بأنه لا ضمان عليه إلا أن يقيم ربُّ الغنم البينة أنها ضاعت في وقت تعدِّيه ذلك.[2]

وفي نازلة كتاب تضمن الصناع، الذي يدفع الثوب إلى القصّار ويأتي ربُّ الثوب ليأخذه فيجد فيه **قطع الفأر** أنه إن لم تقم بينة أنه قطع فأر وأنه لم يفرط ضمن القصار لأنه حال هذا الضمان والراعي مؤتمن".[3]

يتضح من هذه النوازل وجود الوحوش المفترسة كظاهرة خطيرة وجائحة من الجوائح.

وسئل الفقيه الوسياني من روايات أبي عثمان المزاتي الدجمي الذي أطلق اسم "**آفة الغنم**" علي الذئاب والحيوانات المفترسة، التي تشكل خطرًا على الكائنات الحية، حيث يقول: "أبو الربيع وأبو نوح وأبو سهل أن أبا ثمان ممن كان سكن بجبل نفوسة من مزاتة، قالوا عنه: مشى يوم إلى بئر يسقي الماء، فلن يجد من يمسك له فتم السقاء، فنظر فإذا بذئب، فقال له أبو ثمان : تعال امسك لي هنا، لم أجد غيرك يا آفة الغنم" حيث تكلم معه الذئب وأعانه على السقاية ثم ذهب أبو ثمان.[4]

كما ذكر صاحب المسالك والممالك الوحوش بقوله: "والنورية تجذب الحيوان كالفرش الطائر والوحش والغزلان".[5]

---

[1] موسى هواري، تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (ق01- 07ه/07-13م)، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008/ 2009م، ص 139.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص 330.

[3] المصدر نفسه، ج8، ص 330.

[4] أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني (ق6ه/ 12م)، سير الوسياني، تح: عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، وزارة التراث والثقافة مسقط، سلطنة عمان، 2009م، ج2، ص 529.

[5] أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، تح: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، 1992م، ص 175.

ومن الجوائح الأخرى في هذا التصنيف بالمغرب الأوسط نجد العقارب، التي تحدث عنها الإدريسي عقارب بجبل مسيون[1]، فهذا الجبل تكثر فيه العقارب الصفراء اللون لكن خطرها قليل[2]، وتشير آخر البحوث التي جاءت بدراسة من تأليف لحسن بودرقا و geographie strabon أن العقارب بها ذكور وإناث أما الذكور أخطر من الإناث، وكانت هذه العقارب والحشرات الضارة عبر ممر الزمن التي تواجدت في بلاد المغرب الأوسط وكان الإنسان في صراع دائم معها منذ العهد القديم حتى العصر الوسيط، وهذا الطرح نفسه ظهر في المصادر الجغرافية الإسلامية منها نزهة المشتاق.[3]

فمدينة القلعة أكبر المدن كثافةً وأوسعها مساحة وأكثرها خيرات لكن ذكر فيها الإدريسي أن "بهذه المدينة عقارب كثيرة سود تقتل في الحال وأهل القلعة يتحرزون منها ويتحصنون من ضررها ويشربون لها نبات الفوليون الحراني ويزعمون أنه ينفع شرب درهمين منه لعام كامل فلا يصيب شاربها شيء من ألم تلك العقارب وهذا عندهم مشهور وقد أخبر بذلك من يوثق به في وقتنا هذا وحكى عن هذه الحشيشة أنه شربها وقد لسبته العقرب فسكن الوجع مسرعاً ثم إنه لسبته العقارب في سائر العام ثلاث مرات فما وجد لذلك السبب ألما وهذا النبات ببلد القلعة كثير".[4]

كان سكان المغرب الأوسط خلال القرنين (07- 08هـ/ 13- 14م) يعتمدون في الطب والتداوي بالأعشاب ضد لسعات العقارب وأضرارها، كانت هذه الأعشاب متوفرة في الجبال المرتفعة مثل جبال بجاية وتاهرت والقلعة وغيرها من الجبال والمناطق التي بها الأعشاب التي تصنع بها الأدوية، من أجل التداوي بها لسموم العقارب ولأمراض أخرى والتي سنذكرها في جزء لاحق بالتفصيل.

[1] جبل مسيون: جبل مسيون من مدينة بجاية الواقع من الجهة الشمالية، وهو سامي العلو، ويعتبر صعب المرتقى، الذي يحتوي على أعشاب تأخذ لتداوي بها، وبه الكثير من العقارب الصفراء. الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 259.

[2] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 259.

[3] نوال بلمداني، المرجع السابق، ص 65.

[4] الإدريسي، المصدر السابق، ص 259.

4.2. جائحة (الحرائق، الزلازلْ، والكسوف والخسوف)

شهدت بلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط العديد من الكوارث الطبيعية التي أثرت على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية ومن بين هذه الجوائح (الحرائق، الزلزال، الكسوف والخسوف) التي كان لها تأثير مباشر على السكان والمدن والبنية التحتية.

1.4.2. جائحة الحرائق

تعتبر الحرائق من الجوائح الطبيعية التي يكون الإنسان سببا في اشتعالها، وفي بعض الأحيان تشتعل هذه النيران من طرف الظواهر الطبيعية مثل الشمس والقمر والكسوف والخسوف والبراكين وغيرها من الكوارث الطبيعية، فهذه الحرائق أثّرت على الثروة الحيوانية والنباتية والإنسان ونشاطه، فيصدر عن الحرائق المجاعة والحرابة والنهب والقتل وغيرها من استغلال أحوال الناس.[1]

جاء في المدونة الجوائح الطبيعية التي تأتي من عند الله تعلى منها: "الجراد والنار والريح والغرق والبرد والمطر والطير والدود وعين الشجرة في الحر والسموم"[2].

والحرائق هي نيران تشتعل في البنايات أو الحقول أو الغابات، إما أن تكون من طرف الإنسان أو أمر طبيعي ناتج عن ارتفاع الحرارة، مثل ما حدث في سنة (305هـ/ 917م)، حيث أحرقت النار أسواق مدينة تاهرت قاعدة المغرب الأوسط وعاصمة زناتة.[3]

شهد المغرب الأوسط خلال القرنين (07-08هـ/ 13-14م) العديد من الحرائق الطبيعية، لهذا نعتبر هذه الحرائق من الجوائح الطبيعية، لأضرارها المتعددة، أتلفت المحاصيل الزراعية والمنتوجات الفلاحية وحقول البساتين والدور والبنايات وغيرها، كلفت هذه الحرائق خسائر ضخمةٍ منها مادية وبشرية.

---

[1] الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 62.

[2] ابن رشد القرطبي المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 1615.

[3] ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 98.

2.4.2. جائحة الزلازل والكسوف والخسوف

تعتبر الزلازل من الجوائح الطبيعية التي أثرت على مختلف الكائنات الحية بالمغرب الأوسط، وانعكست سلباً على نشاط الإنسان وعيشه واستقراره، فالزلازل تمسّ بالحياة البشرية مباشرة وتشوه الطبيعة.[1]

والزلازل ليست مثل الجوائح الطبيعية الأخرى التي تتكرر بشكل دائم، فهي تحدث في فترت متقطعة وفي جميع بلدان العالم، منها المغرب الأوسط، ففي وصف لابن سعيد الذي نقله عنه العمري "أن بلاد المغرب قليل الصواعق والزلازل"، ورغم هذا شهدت بلاد المغرب الأوسط هزات زلزالية مثل ما شهدتها البلدان الأخرى، التي خلفت خسائر مادية وبشرية كثيرة.[2]

عرف المغرب الأوسط هزات زلزالية قوية، مثل زلزال تلمسان الذي ذكره ابن أبي زرع في عهد الأمير يوسف بن تاشفين، ذكر بأن الناس لم يرو ببلاد المغرب مثله، هدم البنيان ومات فيه خلق كثير تحت الردم، ووقعت الصوامع والمنارات، ولم تزل الزلزلة تتعاقب وتتكرر في كل يوم وليلة من أول يوم من ربيع الآخر إلى آخر يوم من جماد الآخرة من السنة المذكورة.[3]

هكذا كانت تتعاقب الزلازل على بلاد المغرب الأوسط مثل باقي البلدان المجاورة لها، مثل مدينة سبتة التي حل بها زلزال عنيف سنة (600هـ/ 1165م) الذي هدم المباني وقتل العباد والحيوانات.[4]

5.2. جائحة الأوبئة

إن جائحة الوباء والطاعون والجذري والجذام والحمى والحصبة وغيرها من الجوائح الأخرى التي سادت بلاد المغرب الإسلامي، فأثرت هذه الأمراض على الإنسان وحتى الحيوان من فتله وفنائه بسبب هذه الأمراض.

---

[1] الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 63.
[2] عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص75.
[3] ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 168.
[4] عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص 45.

1.5.2. الوباء

يعرف الوباء في اللغة بأنّه: كلّ مرض عام، (وَيَمُدُ وَيَقْصِرْ)، وجمع المقصور أَوْبَاءٌ، وجمع المَمْدُودِ أَوْبِئَةٌ، وقد وُبِئَتُ الأَرْضُ تَوْبَأُ فَهِيَ مَوْبُوءَةٌ إِذَا كَثُرَ مَرْضَهاَ، وكذلك وُبِئَتْ تَوْبَأُ وَبَاءَةٌ فَهِيَ وُبِئَةٌ وَوُبِئَةٌ عَلَى فَعِلَةٍ وفَعِيلَةٍ، وَأَوْبَأَتْ أَيْضًا فَهِيَ مُوبِئَةٌ وَاسْتَوْبَأَتْ الأَرْضَ، وَجَدَتْهَا وَبِئَةً[1].

سئل الفقيه أبو الحسن القزويني على حق المجذوم من الناس والأطباء؟ حيث أجاب: أن المريض بالوباء له حق على الناس والأطباء من اجل التداوي وشفائه من المرض، لكن المعاملة مع المرضى تكون بالحيطة والحذر، حتى لا يتفشى المرض وينتقل من شخص إلى آخر، وحتى إن توفى المريض له حق الغسل والدفن وتطبق كل شروط الميت[2].

مثل ما عمل به أهل أجلو "الذين وقع فيهم وباء في أحد السنين فأضر بأهلها في جناتهم، وآذى كثيرًا، فاقتضى نظرهم أن يجتمعوا ويصوموا يوم الأربعاء والخميس والجمعة، وربما استعان بعضهم بالأولياء وذوي الكرامات، وفي هذه الظروف شكا أهل تلمسان إلى أبي زكريا يحي بن يوغان الصنهاجي قحطا مسهم فاستسقوا به فسقوا"[3].

ومن جوائح الأوبئة التي تحدثت عنها كتب النوازل نجد الطاعون.

2.5.2. جائحة الطاعون

الوباء يأتي على جميع الناس في كل زمان ومكان، فالوباء ظهر في العَّهد والقديم والوسيط إلى غاية يومنا هذا، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم: [إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه] أخرجه في الصحيحين، أصاب الناس قحط شديد في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ثم أتبعه جوعاً هلك به الناس، ثم أعقبه وباءٌ شديدٌ، فهذا الوباء قتل الكثير من الناس حيث أن عمر ابن الخطاب كان

---

[1] سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588- 927ه/ 1192- 1520م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وأثار كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، (1429-1430ه/ 2008- 2009 م)، ص 19 – 20.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج 11، ص 358.

[3] نوال بلمداني، المرجع السابق، ص 50.

يخطب في الناس عن الجفاف والمجاعة والقحط ويدعوا الله لسلامه الناس، وتعليمهم كيفية الابتعاد عن الوباء، حيث توفي جراء هذا الوباء مجموعة من المسلمين منهم: "أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان والحرث بن هشام وسهيل بن عمر وابنه عتبة وآخرين أمثالهم"[1].

إن هذه الأوبئة والأمراض المتتالية على المغرب الأوسط تعتبر من الجوائح الطبيعية التي أثرت على النمو الديموغرافي ومست مختلف الجوانب الإنسانية، وقتلت خلقا كثيرا، وأثرت على المستوى المعيشي بشكل واضح[2]، فنظر العلماء والأئمة والفقهاء إلى هذا الأمر، فأغلبهم أرجعه إلى غضب الله عزّ وجل عنهم فابتلاهم بهذا الوباء، فأصبح العلماء والفقهاء بتفاسير السنة النبوية والقرآن الكريم من أجل أخذ التدابير والحيطة من هذه الأوبئة، حتى أن هذا الطاعون جاح عن جميع البلدان المجاورة لبلاد المغرب الأوسط[3].

يرى الكثير من الفقهاء والمؤرخين والأطباء من خلال كتاباتهم أن جائحة الوباء أو الطاعون اسم واحد، فالوباء هو الطاعون، دون مراعاة الفرق بينهما، لذلك يجب علينا معرفة الفرق بينهما حتى نستطيع التميز بين الفترات التي يظهر فيها الوباء أو الطاعون.[4]

فالطاعون هو الوباء لكن ليس الوباء هو الطاعون، فالوباء أشمل منه، والطاعون مرض مثل الجذري والجذام والحمى والحصبة والذبحة والسعال الجاف وغير ذلك، هذه الأمراض كلها وباء[5]، فكان الطاعون بالنسبة لأهل سكان المغرب الأوسط مثل اللعنة التي حلت بهم

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، العبر، تح: سهيل زكار، العبر ودوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الكتاب اللبناني لطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1959م، ج 02، ص 553.

[2] نورالدين غرداوي ، المرجع السابق، ج01، ص 71.

[3] الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص ص50- 51.

[4] سمية مزدور، المرجع السابق، ص21.

[5] ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2006، لبنان، ص 38.

تأخذ الأرواح وتفسد أوضاع من شتى أنواعها[1]، فهذا الطعون ظهر منذ القدم عبر مرور الزمن، ففي "سنة (307هـ/ 919) حلّ بالمغرب الأوسط" وباء كثير وطاعون مفرط.[2]

وفي سنة (344هـ/ 955م) حل وباء بالمغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، الذي هلك أقوام كثيرة "وفيها مات الملك الناصر لدين الله مدينة تلمسان من أرض العدوة".[3]

فتظهر هذه الأمراض في فترات زمنية مع تحول الفصول ففصل به الحرارة والأخر به البرودة والرياح القوية[4]، مثل الريح القوية التي دامت ستة أشهر سنة (379هـ/ 989م) إلى أن خلفت "الوباء العظيم والأمراض الكثيرة" إلى غاية سنة (380هـ/ 990م)،إن الرخاء المفرط من تراكم السلع لسبب الوباء الذي حل ببلاد المغرب حيث أنه منعهم من تصدير السلع إلى البلدان الخارجية والمجاورة مثل بلاد أوروبا.[5]

فمن هذه التقلبات الجوية ينتج عنها الوباء في شتي أنواعه من السعال والحصبة والحمى والجذري والجذام وغيرها، فيذكر لنا ابن عذارى أن في (يوم السبت 18 شعبان 311هـ/ يوم السبت 12 ديسمبر923م) قام عبيد الله بعزل قاضي القيروان عبيد الله إسحاق بن أبي المنهال عن القضاء وولى مكانه محمد بن عمران النفطيُّ، الذي أوقع بأهل نفوسة فهدم وقتل وسبي الذرية، ثم دخل مسرور بن سليمان من صعيد مصر إلى بلاد المغرب الأوسط فوقع فيه وأصحابه الطاعون ثم عاد إلى برقة.[6]

هذا الطاعون الجارف الذي اندثر ثم عاد بعد 06 قرون إلى بلاد المغرب الأوسط سنة (747هـ/ 1347م)، الذي ظهر في بلاد الصين ببحيرة بالكاش ثم انتشر إلى بلدان أوروبا ثم

[1] رفيق تلي، المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، برلين، ألمانيا، 2021م، ص 11.
[2] ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 98.
[3] المصدر نفسه، ص 100.
[4] داود عمر الانطاكي، بغية المحتاج في المحراب من العلاج، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1995، ص 335.
[5] علي ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 102.
[6] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 189.

بلدان إفريقيا منهم بلاد المغرب الأوسط، إلى أن تسرب إلى كل البقاع في العام وقتل العديد من الناس، حتى أصبحت كل المناطق بالعالم تعاني منه.[1]

توالت الأمراض والأوبئة[2] على بلاد المغرب الأوسط، يذكر ابن مرزوق الخطيب أنه توالت الأمراض على مولاه أبي الحسن في مدينة تلمسان[3]، فظهر هذا الوباء في الكثير من السنوات، منها في سنة (748هـ/ 1348م) ثم في سنة (749هـ/ 1349م) ثم سنة (750هـ/ 1350م)، حيث أنه في هذه السنة وصلت الوفيات إلى 4000 قتيل، ثم عاد في سنة (760هـ/ 1360م) ثم سنة (833هـ/ 1433م) [4].

اتجه الناس نحو الفقهاء والمتصوفة والصلحاء والأولياء من أجل نصحهم وتقديم لهم يد العون وكيفية التخلص منه وطرح بعض الأسئلة الخاصة بهذا الوباء[5]، فأجاب الرصّاع بقوله: "أجمعت الأمة على أن الفرار ليس بواجب، وإنما الخلاف هل هو جائز أو مكروه أو حرام"[6].

فهذا الوباء أثر على كلّ المجالات الحضارية سلبيا[7]، وفي سنة (928هـ/ 1521م)حل بالبلاد وباء كثير اجتاح كل بلاد المغرب الإسلامي، إلى أن خلف قتلى كثيرون، ودام هذا الوباء إلى سنة (930هـ/ 1523م)، فمات الكثير من الفقهاء والعلماء بسبب هذا الوباء القوي.

يعتبر هذا الوباء من الجوائح الطبيعية التي دمرت الحياة البشرية والحيوانية في كل مكان وزمان، ويشتد الفقر على أهل البلاد وتكثر الفاقة وتقل الثمار لاحتباس الناس عن العمل والكسب.[8]

وقد اختلف في سبب هذا الوباء من عدة أوجه، فهناك من يقول بأن هذا الوباء راجع إلى تعكر الماء والهواء مثل عبد الرحمان ابن خلدون، وهناك من أرجعه إلى الزلازل مثل ابن أبي زرع الفاسي، وهناك من أرجعوه إلى وخز الجن، وهناك بعض الفلاسفة أرجعوه إلى أمور

[1] محمد حسن، المرجع السابق، ج 01، ص 605.
[2] نورالدين غرداوي، المرجع السابق، ج01، ص 71.
[3] ابن مرزوق الخطيب، المصدر السابق، ص 249.
[4] المصدر نفسه، ص 249.
[5] أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص 50.
[6] محمد حسن، المرجع السابق، ج01، ص608.
[7] المرجع نفسه، ج 01، ص 606.
[8] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص 160.

غيبية، وبعض الأطباء أرجعوه إلى أمراض جسدية فقط، أما أهل الحديث والقرآن فقد أرجعوه إلى ارتكاب المعاصي وأمروا بالصبر والتأقلم مع هذا الوباء الذي حل بهم وقتل الكثير منهم.[1]

وهذه الأمراض البكتيرية تظهر على جسم الإنسان وعلى هيئة الحيوان بحدّة وحرارة، التي تدخل جسم الإنسان على شكل تسمّمات من خلال الغذاء أو الهواء ويصيب جهاز الدورة الدموية بسبب دوران البكتيريا المرض في مجرى الدم وكذلك الطاعون الرئوي ...الخ[2]، أو المياه التي تكون في البر أو المستنقعات، فغالبا ما تكون مياه متعفنة، فعند شربها يحدث مرض من هذا الماء خاصة في بطن الإنسان.[3]

وكذلك من أنواع الطاعون الدبلي أو الدملي أو العقدي أو الذبحة التي تأتي بنفث الدم ويذكر الشيخ الإمام ابن حجر أن هذه الأمراض من أنواع الطاعون، والطاعون هو نوع من الوباء.[4]

فالطاعون يظهر في الأجساد أو المادة اللحمية أو تحت جلد البطن وغشائه حتى أن الجلد له علاقة بالأعضاء التي داخل الجسد، ويحدث ألما شديدا فيها، مثل: الغدد والأمعاء والرئة والكبد والبلعوم والقصبة الهوائية ...الخ. [5]

وكذلك الطاعون الرئوي مثل ما وصفه ابن خلدون في مقدمته، إنه يظهر في الهواء الرطب الفاسد والعفن في المناطق المغطاة بالأشجار، مثل: المناطق الغابية والجبال والمغطاة

---

[1] محمد حسن، المرجع السابق، ج 01، ص 607.

[2] منظمة الصحة العالمية (07 تموز/ يوليو 2022م)، منظمة الصحة العالمية –جمع الحقوق محفوظة- www.who.int://plague<detail<https ،http://adresse complète (consulté le سنة2022م،ص01، jour/mois/année).

[3] أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص 246.

[4] محمد المواق ومحمد الرصاع، الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية (886هـ-1481م)، نص جديد حول الأندلس وإفريقية قبل سقوط غرناطة، تحقيق محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا، 2007م، ص 105.

[5] ابن سينا، القانون في الطب، مكتبة جمهورية مصر، القاهرة، مصر، د ت، ج1، ص 1137.

بالأشجار والنبتات التي تموت الحيوانات بداخلها فتفسد وتتعفن، فيتعفن الهواء والماء، والتربة حتى الغطاء النباتي الذي يعتبر مصدر عيش الحيوانات.[1]

لذلك نستطيع القول أن ليس الهواء فقط مسئول عن ظهور الأمراض والأوبئة وحده فقط بل المياه الراكدة أو الجارية مثل ما جاء في شعر البكري:

قوله :

فمـــــــــتى تلملما بها جاهلها يرتحل عن أرضها قبل الأغلس

ومـــأواهـــا من فـح ما خصـــت به مجس يجري على تراب نجس

فمتى تلعن بلادا مـــــــرة فاجعل اللعنة ذابا لتنفس

كما ساهمت المياه الجارية مثل الينابيع والوديان والأنهار كذلك البحيرات وبقاع المياه والسدود في انتشار الأمراض والأوبئة مثل الجذري والجذام والجرب والحمى والحصبة وهذه الأمراض انتشرت في الكثير من المناطق وليس في المغرب الأوسط فقط بل كذلك في المغرب الأقصى والأدنى وحتى في بلاد الأندلس[2]، و الطاعون الدموي أي إنتان الدموية، كما ذكر ابن خاتمة في أبياته الشعرية:

قوله:

قد خالف الشرع وأحكامه لأنه يثبت بالرائحة

لا تثق بالحياة طرفة عين في زمان طاعونه مستطير

فكأن القبور شعلة شمع والبرايا لها فرش تطير

أما قول ابن الوردي:

يقلون شم الخل في زمن الوبـــــــاء وفاقا لما قال الأطباء ياخلي

فإن قلت للطاعون تسطر على الورى يقول نعم أسطو وأنفك في الخل

[1] عبد الرحمان ابن خلدون ت (808هـ/ 1405م)، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد درويش، مكتبة الهداية دمشق، سوريا، 2004م، ص 282.

[2] أبو عبيد البكري (ت487ه)، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت، ص63.

وقال إبراهيم المعمار:

قبح الطاعون داء فقدت فيه الأحبة

بيعت الأنفس فيه كل إنسان بحبه[1].

ويذكر المؤرخون الأمراض التي توالت على المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية وشخصتها منها: مرض الذبحة و الدماميل والأورام والشبكية والكندا والصداع والفتق وداء الشاخة، وغيرها حتى القرن (09هـ- 15م) ظهر داء الإفرنج، كما علق عليه حسن الوزان أن هذا الداء انتقل إلى بلاد المغرب الأوسط عن طريق اليهود المهاجرين من الأندلس إلى بلاد المغرب، واستيطانهم بالمغرب الأوسط بعد أن سقطت غرناطة[2].

يذكر محمد بن الهيب القادري في تأليفه نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر أن وباء تفاقم في بسكرة وكثر، فمات فيه الكثير حوالي نحو سبعين ألف نسمة منهم الأطفال والشباب والكهول والشيوخ والنساء حتى الحيوانات حتى أن خلت البلاد وأصبح بها سكان قلة.[3]

الذي كان يسمى بداء الإفرنج الزهري بأثره الموجع وقرحة مؤلمة، فتنتشر بكثرة في بلاد البربر في السهول والصحراء دون الجبال والتلول، الذي جاء بالأخضر واليابس فحصد أرواح كثيرة، فعندما كان هذا المرض يصيب الإنسان في أوروبا فيتجه نحو بلاد المغرب لسبب الهواء الطبيعي إلى أن أصيب به أهل بلاد إفريقيا ، فكان ينتشر عبر التجار والحروب وزيارة الأقارب في إسبانيا وانتقال اليهود إلى المغرب و الأفواج القادمة من أوروبا[4].

---

[1] أبو جعفر أحمد ابن خاتمة الأندلسي، مخطوطات ومطبوعات تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد (747هـ/ 1346م)، شبكة الألوكة، *www. alukah.net*، د ت، ص 359.

[2] المازوني أبوا زكريا يحي بن موسى بن عيسى بن يحيى المغيلي ت (883هـ/ 1478م) ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح إسماعيل بركات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، سنة 2009- 2010م،ج01، ص 88.

[3] محمد بن الهيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمد حجي وأحمد التوفيق، مكتبة الطالب، شارع محمد الخامس، الرباط، 1402هـ/ 1982م، ص 51.

[4] حسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص 84.

وبعض المؤرخين يذكرون في كتاباتهم أن مرض الطاعون ظهر ببلاد الصين ،ببحيرة بالكاش شمال منغوليا إلى أن وصل إلى بحر القزوين ثم القسطنطينية ثم مسينة سنة (747ه/ 1347م) ثم نابولي وبيزا والبندقية ثم الإسكندرية [1]، إلى أن ظهر الطاعون الأسود سنة (751ه/ 1350م) في المغرب الأقصى الذي عرف بالمرض الفتاك ولم يسلم منه أحد، فقتل خلق كثير في المغرب الأوسط في عاصمة الدولة الزيانية، وقضى على الكثير من العائلات ولم يسلم أحدا منهم وذكر أبو عبد الله الخطيب ابن مرزوق أنّ أولاد الحاج يوسف بن يحيى حفيد العالم التفريسي انقرضوا، وكذلك بعض العلماء منهم أبو عبد الله محمد بن يحيى النجاري، ومن مواصفات هذا المرض الخبيث حمى دائمة بارتفاع الحرارة وعرق وتشنج وبرودة في الأطراف وقيئ مراري وعطش والبصق بالدم حتى الموت.[2]

فهذا الطعون كان يظهر بعد مراحل فظهر أول مرة في المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية سنة (750ه/1349م)، ثم عاد سنة (763ه/ 1362م)[3]، ثم جاء سنة (764ه/1363م) ،ثم عاد بعد أربعة سنوات أي سنة (768ه/1367م)، ثم عاد سنة (845ه/1442م)[4]، ومن الوقاية منه اتخذوا بعض التدابير منها: التمسك بالشعائر الدينية الإسلامية، مثل الصوم " وهذا ما فعله أهل أجلو الذين وقع فيهم الوباء في أحد السنين فأضر بأهلها في جناتهم وآذى كثيرًا منهم، فاقتضى نظرهم أن يجتمعوا ويصوموا يوم الأربعاء والخميس والجمعة.[5]

1.2.5.2. جائحة الجذري والجذام والحصبى والحمى

يعتبر الطاعون من الأمراض التي أرقت الإنسان في العصر الوسيط، حيث أن هذا المرض لا يستهان به، أما الجذام مرض خبيث ولا يقتل مثل الطاعون لكن من خوف الناس منه أثر على نفوسهم، فانتشر هذا المرض في نطاق واسع في مختلف بلدان العالم، حيث أن هذا

[1] محمد حسن، المرجع السابق، ج01، ص 605.

[2] خالد بالعربي، المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني(698-845ه/1299-1442م)، دورية كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة ربع سنوية، ع4، يونيو 2009م، ص 23.

[3] عبد الهادي البياض، المرج السابق، ص 35.

[4] خالد بالعربي، المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني (698-845ه/1299-1442م) مرجع سابق، ص24.

[5] نوال بلمداني، المرجع السابق، ص 50.

المرض أصدر حوارا وكلاما يدور بين الفقهاء مثال: هل يجوز مخالطة المجذمين أم لا؟ على غرار الجذام والجذري والحصبة والسعال والذبحة وغيرهم من الأمراض التي تؤّثر على الكائن البشري في الدرجة الثانية بعد الطاعون.[1]

فكان الجذام يأتي من بعض الأغذية مثل: لحوم الأنعام والأسماك والخضر مثل: الباذنجان والثوم والخردل والعدس والفول، أما الفواكه مثل: التمر، حتى أصبح الأطباء يسمونه بداء الأسد، بتغير وجوه الذين أصابهم هذا الوباء وهو مرض معدي وينتقل بسرعة من شخص إلى آخر[2] ، فبعض الأطباء يشكون ويرجعون سبب ظهور الجذام يعود إلى البثور المتعفنة وأكل بعض الحيوانات التي تأكل اللحوم المسمّمة والمفترسة.[3]

سئل الفقيه عمّن اشترى أمة بصحة جيدة ولكن بعد البيع مرضت بالجذري ثم ماتت، فهل المشتري يرجع على البائع أم لا؟ فأجاب: أن الجذري ليس من الأمراض الأربعة منها: الجنون والجذام والبرص والحمْل، فالجذري ليس مذكورا في هذه الأمراض، لكن بعض الفقهاء قالوا أن الجُذْرِي من الجذام[4].

يعتبر الجذري من الأمراض الخطيرة، فبرائحته الكريهة ينتقل بسرعة، أما الحصبة فهي أقل خطرا من الطاعون والجذام، وهذا المرض ينتقل مثل الأمراض الأخرى من شخص إلى آخر أي يتنقل في الهواء، يرى بعض الأطباء أن هذا المرض ينتقل من حيض النساء في الولادة فأصبح الأطباء يقومون بغسل بطن المرأة التي تلد، فصنفها الأطباء إلى أمراض بكتيرية وأمراض فيروسية وأمراض المعدية التناسلية والأمراض المعدية المحجرية.[5]

سئل الفقيه عمن تزوج بِكْرًا وكان بها جذري من قبل ولكن برئت منه عند العقد وبعد الزواج عاد إليها الجذري وتوفيت وادعي وليها بأن زوجها كان يصب عليها الماء البارد

[1] الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 56.
[2] داود عمر الانطاكي، المصدر السابق، ص344.
[3] البرزلي، المصدر السابق، ج6، ص 481.
[4] أبو عبد الله سيدي محمد المهدي (1342هـ)، المصدر السابق، ج03، ص 43.
[5] سمية مزدور، المرجع السابق، ص 23.

لتداوي لكنها توفيت، هل يلزمه الصداق أم لا؟ فأجاب الفقيه: إن الصداق لازم له، أما الجذري مرض وبرئت منه[1].

أما الجرب فهو من الأمراض الحصبة فيرى الأطباء ظهور هذا المرض في جسم الإنسان من الأغذية الخشنة وأكل الحبوب والبقوليات الجافة.[2]

أما الحمى مثل الأمراض الآخر، التي تمس بأجساد الناس وتهلكهم، فهذا ابن بطوطة أصابته الحمى، فنصحه صاحبه أبو عبد الله الزبيدي بأن يستريح في بجاية حتى يبرأ منها، فأبى وركب الدابة على مرض وقال : (إنْ قضى الله عز وجل بالموت فتكون وفاتي على الطريق وأنا قاصد أرض الحجاز) ومن المعروف أن الناس كانوا يرون أن من مات في طريق الحج عُدَّ شهيداً، وقد عنى به الزبيدي وأعاره دابة وخباء، وقال ابن بطوطة: (وكان ذلك أول ما ظهر لي من الألطاف الإلهية في تلك الوجهة الحجازية"[3]. حيث قال ابن مرزوق الخطيب: "عندما توالت الأمراض على مولاه منها مرض الحمى فقال له اذهب إلى تلمسان فخاف ابن مرزوق وقال له والله لا فارقتك"[4]، جاء في قول حسن الوزان :"وكثيرا ما يتلهى في المساجد يوم الجمعة في الوقت الذي يجتمع عادة ألاف الأشخاص ، فإذا وصل الخطيب إلى أحسن فقرة في خطبته واتفق أن سعل آخر (ثم آخر) وهكذا حتى يسعل الجميع في نفس الوقت تقريبا إلى نهاية الخطبة فيفترقون دون أن يسمع أحدا إليها"[5].

ورأى علماء أهل ذلك العصر أن الوباء يظهر في ثلاثة حالات، الأولى من الماء والهواء والأطعمة الفاسدة، أما الحالة الثانية فمن وخز الشيطان المتمثل في الصرع وغيرها، أما الحالة الثالثة التي جاء بها الميتافيزيقيون والأطباء فيظهر هذا الوباء من فساد الدم ومن طعن الشيطان، وهناك أراء أخرى من يقول أن ظهور الوباء ناتج عن المجاعة والفقر [6].

---

[1] أبو عبد الله سيدي محمد المهدي، المصدر السابق، ج 02، ص 154.
[2] حسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص 83.
[3] حسن مؤنس، المرجع السابق، ص 34.
[4] ابن مرزوق الخطيب، المصدر السابق، ص 249.
[5] حسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص 84.
[6] محمد حسن، المرجع السابق، ج01، ص607.

2.2.5.2. الجوائح الطبيعية يمكننا أن نبينها في جدول

السنة	نوع الجائحة الطبيعية	المصدر	المكان
260هـ / 874م	وباء عظيم مع غلاء السعر وعدم الأقوات.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص55.	بلاد الأندلس والمغرب.
285هـ / 898م	مجاعة ووباء.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص55.	بلاد الأندلس وبلاد العدوة.
303هـ /915م	فتن ومجاعة كثيرة.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص55.	إفريقية والمغرب والأندلس.
307هـ / 920م	فتن ومجاعة.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص55.	إفريقيا والمغرب والأندلس.
342هـ / 954م	ريح قوية.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص55.	المغرب والأندلس.
344هـ / 956م	وباء عظيم.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص55.	المغرب والأندلس.
355هـ / 966م	رياح قوية.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص55.	بلاد المغرب.
361هـ / 972م	الجراد الكثير.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص55.	بلاد المغرب.
377هـ / 988م	الجراد.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص55.	بلاد المغرب.[1]
378هـ / 989م	الفيض.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص56.	بلاد المغرب[2].
379هـ / 990م	رياح شرقية دامت 06 أشهر، مات فيها الكثير.	ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 97.	بلاد المغرب.

[1] نوال بلمداني، المرجع السابق، ص55.
[2] المرجع نفسه، ص 56.

381هـ / 991م	القحط الشديد، أكل الناس بعضهم البعض.	المصدر، نفسه، ص 97.	بلاد المغرب[1].
381هـ / 991م	مجاعة شديدة، كثرة الموت في كل مكان.	ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص173.	بلاد المغرب[2].
382هـ / 992م	رياح قوية، جلبت الوباء والطاعون.	الناصري السلاوي، المرجع السابق، ص 15.	بلاد المغرب.
406هـ / 1016م	الجراد، قضى على الأخضر واليابس.	المرجع، نفسه، ص 153.	بلاد المغرب[3].
407هـ / 1017م	قحط قوي، هلك فيه الناس.	الناصري السلاوي، المرجع السابق، ص 15.	بلاد المغرب.
411هـ / 1321م	قحط شديد، مات فيه الكثير من الناس.	الناصري السلاوي، المرجع السابق، ص 161.	بلاد المغرب.
485هـ / 1092م	رياحٌ قوية، قلعت الأشجار وهدمة الديار.	المرجع نفسه، ص 101.	بلاد المغرب.
498هـ / 1105م	قحط، فتك بالأهالي.	المرجع نفسه، ص 101.	بلاد المغرب.
.	قحط، جفاف.	المرجع نفسه، ص 161.	أودية بلاد المغرب[4].
.	أمراض كثيرة ووباء عظيم.	ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص 111.	بلاد المغرب.
.	جفاف.	المصدر، نفسه، ص 111.	بلاد إفريقية والمغرب والأندلس.
.	قحط.	المصدر، نفسه، ص 115.	بلاد إفريقية والمغرب والأندلس.
.	رياح شديدة.	المصدر، نفسه، ص 116	بلاد المغرب[5].

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 97.
[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص173.
[3] الناصري السلاوي، المرجع السابق، ص ص15، 153.
[4] الناصري السلاوي، المرجع السابق، ص ص15، 161، 101.
[5] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص111، 115، 116.

.	غلاء مستمر.	ابن الأثير، المصدر السابق، ص 1358.	بلاد إفريقية والمغرب[1].
.	وباء فتاك.	ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص 118.	بلاد إفريقية والمغرب والأندلس.
.	الموت الكثير.	نفسه، ص 118.	بلاد المغرب من تاهرت حتى سجلماسة فقط.
.	رياح وأعاصير شديدة.	نفسه، ص 120.	بلاد المغرب الأوسط بشتى مدنها من الجنوب حتى الشمال[2].
.	علم الناس بالهلاك.	ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص 39.	بلاد المغرب والأندلس[3].

نلاحظ في هذا الجدول التالي بعض الجوائح الطبيعية أو الكوارث الطبيعية التي تعايشت مع الإنسان منذ القدم حتى العصر الوسيط إلى يومنا هذا، وعندما نتحدث عن المغرب فالمغرب الأوسط جزء منه وكل الجوائح التي تظهر في بلاد المغرب كذلك تظهر في بلاد المغرب الأوسط، وهذه الجوائح الطبيعية التي ظهرت خلال القرنيين (07- 08هـ/ 13-14م) في المغرب الأوسط، وكذلك الجوائح التي ظهرت قبل القرن (07هـ/ 13م)، أما المادة المصدرية خاصة بالمغرب الأوسط نوعاً ما قليلة وغير كافية، لذلك نلاحظ المقارنة بين المناطق واستنتاجها في بلاد المغرب الأوسط من بلاد المغرب الإسلامي، لكن توجد بعض الجوائح التي ذكرها الفقهاء والباحثون بالضبط في بلاد المغرب الأوسط أي في الحيز الجغرافي لمجال بحثنا ودراستنا لهذا الموضوع.

وفي بعض الأحيان لا نجد الدراسات الكافية لموضوعنا هذا من خلال كتب النوازل الفقهية والمناقب التي اعتمدت عليها في بحث هذا، وإذا وجدت بعض الجوائح الطبيعية في كتب النوازل الفقهية والمناقب نجد بعضها بدون تاريخ أو بدون مكان محدد في بلاد

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ص 1358.
[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص118، 120.
[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص 39.

المغرب الأوسط، لذلك عملت على هذا الموضوع من أجل معرفة حالة العيش في العصر الوسيط، على شكل مقاربات نسبية لهذا الموضوع، واعتمدت على المادة التاريخية.

3.2.5.2. الجوائح في بلاد المغرب الإسلامي

حدود التردد ق 6 - 8هـ / 12 – 14م	عدد	حدود دنيا	حدود متوسطة	حدود قصوى
ق 6 هـ 12م	24	من 01 سنة إلى 05 سنوات	من 06 سنوات إلى 08سنوات	من 16 سنة إلى 19 سنة
ق 7 هـ / 13م	26	من 01 سنة إلى 03 سنوات	06 سنوات	25 سنة
ق 8 هـ / 14م	10	01 سنة	من 10 سنوات إلى 11سنة	36 سنة[1]

يمكن أن نستنتج أنّ هذه الجوائح الطبيعية التي حلت ببلاد المغرب الإسلامي عامة وبلاد المغرب الأوسط خاصة قد أثرت على بنية المجتمع من موت وجوع وبأس وتشريد، بعد أن نتج عن هذه الجوائح الطبيعية تدافعات وصراعات بشرية، من حرابة وقتل وهجمات من الدول الخارجية، والاختلاف في البيت الزياني على السلطة والحكم، ورغم هذه الجوائح الطبيعية التي هددت الكيان الاجتماعي، أصبحت الدولة الزيانية تبحث عن الحلول من الوقاية من هذه الجوائح الطبيعية والحد من الجوائح البشرية، عن طريق الحكام والأئمة والمحدثين والفقهاء والباحثين بوسيلة الفتاوى الناتجة عنهم وإرشادهم إلى طريق الحق والهدي والكف عن المعاصي وطاعة السلطة وصبرهم على هذه المحن والشدائد، إلى أن يفرج الله سبحانه وتعالى عنهم بالخير ونعمه.

[1] عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص 41.

.3
أثر الجوائح الطبيعية على الاقتصاد والدولة والمجتمع

تعتبر الجوائح الطبيعية إرادة قاهرة وقوّة غالبة قسرية على الإنسان، وينتج عنها آثار كبيرة ستكون قويّة ومتعددة الأصعدة ومستحكمة الأثر في مختلف الميادين، وأوّل من يواجه آثار هذه الجوائح هو عامّة الشعب من الرعية، وهم من سيقيّم الباحث ردود أفعالهم وأساليب تعاملهم مع المعطيات الطارئة الناجمة عن تأثير تلك الكوارث، ذلك أن الحكم التاريخي سيكون مرتبطا بالصفة الغالبة على عامّة الناس، وإذا ذكرنا المجتمع فإنّنا نعني أيضا وبصفة مباشرة الآثار الاقتصادية التي تتعلّق بأنشطة الناس ومقدّرات عيشهم من رعي وزراعة وفلاحة وتربية المواشي وما يرتبط بهما من غطاء نباتي طبيعي، ومختلف أنشطتهم الحرفية والتجارية.

إنّ تأثير تلك الجوائح لن يستثن بطبيعة الحال أنظمة الحكم السياسية ورجالاتها، ذلك أنّهم أوّل من سيتحمّل تبعات اهتزاز استقرار فئة العامة من الناس وتأثّر موارد أرزاقهم وبيئة أنشطتهم المعاشية، فالحكام ملزمون بتحمّل الصدمات الناجمة عن انهيار توازن النسيج الاجتماعي من أجل صون الاستقرار المجتمعي الذي هو عماد قوّة الدولة وتلاحم مكوّناتها وتنظيماتها الاجتماعية.

1.3. تأثير الجوائح الطبيعية على الحياة الاقتصادية

الجوائح الطبيعية التي تحدثنا عليها في الفصل الرابع لها تأثيرات عديدة في مختلف المجالات، خاصة المجال الاقتصادي، فهذه الجوائح تؤثر سلبا على مختلف الأنشطة الزراعية والحرفية والتجارية، وينتج عنها انتشار المجاعات وارتفاع الأسعار وكثرت الغلاء، بسبب ندرة

السلع من الأسواق واحتكارها، ويعود ذلك إلى نقص المحاصيل الزراعية والابتعاد عن النشاط الفلاحي.[1]

وهذه التأثيرات الاقتصادية نوجزها في ما يلي:

1.1.3. تأثير الجوائح الطبيعية على النشاط الزراعي والرعوي

تعتبر الزراعة بالمغرب الأوسط عنصرا أساسيا في حياة الإنسان والحيوانات منها: الأبقار والأغنام والمعز والضأن والحصان والبغال والحمير وغيرها، أما زراعة الحبوب منها: القمح والشعير والفول والحمص والعدس والبصل والثوم والبطيخ وغيرها، ثم الأشجار المثمرة منها: اللّوز والجوز والخوخ والتفاح والكروم والعنب والزيتون وغيرها، حيث انتشرت زراعة الفواكه والكروم والزيتون في شمال المغرب الأوسط، مثل: بلاد تلمسان، أما زراعة النخيل انتشرت في جنوب الصحراء[2].

وهذا النشاط الزراعي مرتبط بالمناخ وعناصره، فإذا نزل المطر تسقي الأراضي الزراعية، ويكون الإنتاج وفيرا من المزروعات التي تستهلك من طرف الإنسان والحيوان.[3]

وإذا لم ينزل المطر وتنتشر الجوائح الطبيعية تتلف تلك المحاصيل الزراعية، فيقل الإنتاج وتنتشر الأوبئة والأمراض، فيهلك الإنسان والحيوان، وهو ما أشارت إليه كتب النوازل وكتب المناقب.[4]

عرفت الزراعة بتلمسان خلال العهد الزياني نشاط دائما وإنتاجا وفيرا، بفضل طرق الزراعة وطرق الري التي استخدمت في النشاط الزراعي من أجل وفرة الإنتاج، وكان سقي المزارع من وديان وينابيع المغرب الأوسط إحدى مقومات النشاط الزراعي.

---

[1] الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 63.

[2] نورالدين غرداوي، المرجع السابق، ج01، ص 33.

[3] محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص 23.

[4] الطاهر منزل، المرجع السابق، ص 95.

ومن بين التحديات التي واجهها الفلاحون والمزارعون بالمغرب الأوسط تعرض محاصيلهم للجوائح الطبيعية، المتمثلة في القحط والرياح والثلوج والزلازل والأمراض والأوبئة والجراد وغيرها.[1]

فهذه الجوائح أحدثت صراعات وخلافات بين هؤلاء المزارعين والفلاحين رفعت إلى الفقهاء والقضاة للبت فيها وفق الحكم الشرعي، وهو ما احتوته كتب نوازل العصر الموافق لعصر الفقيه جامع النوازل أو قبله وتجدّد السؤال عنها.

وهو الذي أشارت إليه إحدى النوازل سئل عنها الفقيه أبو محمد: عمن أفسد وأكلت مزرعته من قبل أبقار أو أغنام أو دجاج جاره، فهل يدفع ثمنها أو لا؟ فأجاب: هذه جائحة وإن كانت في النهار فعلا صاحب المزرعة يؤمنها وإن كانت في الليل فالراعي يدفع ثمنها، لأن الراعي هو حارس هذه الحيوانات.[2]

وسئل الفقيه ابن رشد عن شخص نصب ببناء عال على ببناء جاره مما جعل الرياح العاتمة والفيضانات والأمطار الغزيرة تتجه نحو دار جاره، مما سبب له الأذى من هذه الجوائح الطبيعية، فأجاب: أن الضرر الأكبر يخفي الضرر الأصغر، واستدلّ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: [إذا اجتمع ضرران نفي الأصغر للأكبر وإذا التقى مكروهان ارتكب أخفّهما][3].

ومن الأسئلة التي تطرح على الفقيه اللخمي سئل عن الريح العاتمة التي تعتبر جائحة طبيعية فتسبب حرائق المزارع بسبب النيران التي يوقدها الإنسان، أو الأمطار الغزيرة التي تغرق الأرض ويوجهها الجار إلى جاره أو إلى المزارع فتغرقها، فحذر منها ابن رشد الفقيه منها وقائلا ضمان للخسائر المترتبة عليه لأنها من الجوائح الطبيعية ويمنع الإنسان في مساهمة أسباب هذه الخسائر المترتبة عنها[4].

---

[1] بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 179.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج09، ص 548.

[3] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج04، ص 358.

[4] أبو القاسم بن محمد بن مرزوق بن عضوم المرادي (ت1009ه)، كتاب الأجوبة، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الحكمة، تونس، 2009م، ج10، ص 343.

قال: فإذا اختلف المقوّمون في تضرر المزروع الثلث أو أقل، فيحكم بهذه البيّنتين، وإذ استعصى الأمر فالحكم ببينة الثلث، لأن البينة الثلث هي أعدل، ثم قال: يجب على المقومون وصف شهادة الجائحة في الزيتون، فينظر إليها فهي سالمة، ثم ينظر إليها فهي مجتاحة ثم ينظر إليها فهي سالمة ومجتاحة، أي الحكم بثلاثة أقوال.

قال: إذا أخذ المباع أكثر من الزريعة فوجب عليه كراء الأرض وإذا أخذ الزريعة فقط فلا كراء عليه، أما الاشبيلي أبو حفص قال: من وجد الزريعة فقط لا كراء عليه، وإن وجد البذر بقدر نفقة المصاريف فلا كراء عليه[1].

جاء في المدونة: عندما يكتري مزارعاً أرضًا فقحطتْ السماء وجفت الأرض أو عمّ الفيضان وغرقت الأرض وفسدت الآبار والبرك والينابيع، فلم يستطع المزارع أن يزرع وإذا زرع لم يجني الثمار، فلا كراء عليه، وإن النقد رجع به، وإذا حصد قليلا فلا كراء عليه وإن حصد كثيرًا يجب عليه الكراء، أي ألزم دفع حقوق الكراء على حسب الغلَّة المتوفرة في حالة ظهور جوائح طبيعية.

فمن اكترى دابة من أجل العمل بها ولكن توقف عن العمل لسبب المطر والغزير مثل: الفيضان حتى غرقت الأرض أو مرضت هذه الدابة ولم تعمل، فكانت الإجابة من الفقيه: فعليه كراء ما حبسها، وكذلك الكراء الأول، هذا القول من نوازل الفقيه لي أبي عبد الله سيدي محمد المهدي[2].

وإذا هلك الزرع بالثلج أو الجليد أو البرد أو جائحة أخرى فوجب الكراء، وإن هلك الزرع بالمطر أو الجليد وشهد أنه غرق الزرع كله، بعيان الشهود وبعدها نبت الزرع فلا كراء عليه، وإن انكشف في الإبان وجب الكراء عليه[3]، وإن اجتاح الجراد المزارع وعلم كل الناس به فلا كراء عليه في تلك المدة التي يكون فيها الجراد، وإذا كان الجراد بيض في الأرض

[1] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج03، ص 388.

[2] أحمد بن سعيد بن يشتغري (ت516هـ)، اللورقي المالكي، تح: قطب الريسوني، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2008، ص 297.

[3] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج03، ص 390.

بمثابة الدود وأكل المزروع فتوقف الزارع عن البذر خوفا من الجراد فهنا لا كراء عليه في هذه المدة[1].

وسئل الفقيه عمن اكترى أرضًا دائما بها ماء المطر، حيث أجاب أن المأمونة كأرض النيل وأرض المطر، أما أرض السقي بالأنهار والعيون والآبار والبرك والسدود، فالنقد فيها لأعوام الكثيرة جائز[2]، أما الريح العاتمة التي تأتي بالنار من الموقد وتأخذها إلى زرع أخر أو بستان وغيرها فلا يتحملها الذي أشعل النار، لسبب البعد أو القرب والنار أخذتها الريح العاتمة، والريح العاتمة تعتبر جائحة طبيعية.[3]

سئل الفقيه ابن رشد : عمّن يغير الساقية في وسط الطريق من أجل سقي البستان في عام القحط الذي هلك الزرع، فما حكم هذا؟ أجاب: أن في حلة قحط وغير الساقية في الطريق لسقي الزرع وهذا الماء يهلك الطريق فعلى القاضي ينادي بالشهود ويمنع هذه الساقية التي تجري في طريق العامة ويعيق سيرهم[4]، لأن هذه الساقية يعتبرها القاضي أنها معيقة للسير في الطريق.

في مسألة أخرى: "من اشترى شرب يوم أو يومين أو شهراً أو شهرين فسقى به زرعه فغار الماء أو نقص قدر ثلث الشرب وضع عنه جوائح الثمار" مما أدى به ابن القاسم: "وأنا أرى أنه مثل ما أصاب الثمرة من قِبَل الماء، فيوضع عنه إن نقص شربه ما عليه فيه ضرر بيّن، وإن كان أقل من الثلث أما إلاّ خطب له فلا يوضع له شيء". ومما استدلّ به الفقيه ابن فتحون:" وتفسير جائحة العطش أنه ينظر إلى تلك الأرض ما يقوم فيها على التوسط وهو حمل السنين ببعضها على بعض، فإنه يقوم للحبة ست حبات على التوسط، فما رفع من الست حبات لزمه ثلث الكراء". وجاء عند الطرار: "لو قال قائل يلزمه في الحبتين شيء لكان عنده مصيبا، لأنه لم ينتفع لما يلزمه في كلفة الحرث والحصاد والدرس أكثر من ذلك"[5].

[1] الونشريسي، المصدر السابق، ج08، ص 164.
[2] أبو عبد الله سيدي محمد المهدي، المصدر السابق، ج03، ص ص119 – 120.
[3] المصدر نفسه، ج03، ص 540.
[4] ابن رشد القرطبي المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 1289.
[5] ابو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج03، ص 390.

فهذه الأسئلة والأجوبة أغلبها تكون بين الفقهاء وأهل البلاد لسبب ظهور الجوائح الطبيعية، مثل الثلوج والسيول والجليد والرياح والوباء وغيرها من الجوائح أو الكوارث الطبيعية التي تحدث عنها الحسن الوزان في فترة متأخّرة من التاريخ الوسيط، أنّ أغلبها تظهر في فصل الشتاء الذي حدده بأن فصل الشتاء يظهر من شهر أكتوبر حتى شهر مارس، فتنتشر فيه الجوائح الطبيعية بكثرة وعلى حساب نوعها سواءً جوائح طبيعية أو جوائح بشرية أو جوائح حيوانية التي تشكل خطرا على الإنسان[1].

وكان جواب الفقيه أبو حفص:" تقدر جائحة الثمرة المشتراة بوجهين: أحدهما تقديرهم ما تحمل هذه الثمرة على التوسط من حملها في السنين فيقال هو كذا. والثاني تقديرهم أن هذا الذي عاينوه مجاحاً ساقط في أصول الثمرة أو فاسداً في رؤوسها، هو ثلث الذي قدروه [204 أ] من حملها على توسط. وأما لو قدروا هذا المجاح في ما بقى صحيحاً في رؤوس الثمرة شيئاً بمجرده، وافتقر إلى تسليم البائع أنّ المبتاع لم يجذ من الثمرة شيئاً"[2].

سئل الفقيه ابن رشد عن جائحة الضَّرّ والقحط قال: إذا أصاب الزرع جائحة الضَّرّ ثم سلم الزرع من هذه الجائحة وبعدها أصابتها جائحة القحط ولم يسلم من هذه الجائحة وهلك الزرع[3]، فأجاب الفقيه حيث قال: إذا سلم من الصر وأهلكه القحط فالكراء عنه ساقط[4]، كذلك سئل ابن الفقيه ابن محرز عن جنة نزل بها العدو وأكل منها وأفسدها فاشتكي المشتري للقاضي، فأجاب إن كل من أكل من طرف العسكر والناس والعدو فهو جائحة مثل الجوائح الطبيعية وتقدر بالثلث أو أقل وأخذ من عند الباع إلى المبتاع، لهذا أصبح الضمان من طرف المشتري مطلقاً[5].

فصّل حسن الوزان في هذه الجوائح التي تأتي في الأسئلة والأجوبة على حساب الأشهر حيث يذكر أن فصل الربيع الذي يبدأ من (15 فيفري حتى 18 ماي)، حيث أن هذا الشهر معتدل أما الفترة التي تمتد من (25 أفريل إلى 05 ماي) تتميز بالسيول والفيضان الذي

[1] حسن الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 77.
[2] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج03، ص 391.
[3] ابن رشد القرطبي المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 1284.
[4] الونشريسي، المصدر السابق، ج08، ص 166.
[5] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج3، ص 391.

يفسد المحاصيل الزراعية، ثم يبدأ فصل الصيف حتى شهر أوت الذي يتميز بارتفاع درجة الحرارة والقحط الذي يعم البلاد كلها، ثم فصل الخريف الذي يمتد حتى شهر ديسمبر الذي يتميز بالاعتدال وفي بعض الأحيان يتميز بكثرة الرياح والأعاصير، أم فصل الشتاء الذي تكثر فيه الجوائح الطبيعية يمتد من شهر ديسمبر حتى شهر مارس ثم يأتي الربيع المعتدل[1].

قال الفقيه الزاهي: "إن سقطة الثمرة بريح وأمكن لقطها فهي جائحة". أما إذا عدنا للفقيه ابن الماجشون حيث قال: "أن ليس بجائحة". أما الفقيه أبو محمد قال: "بأنه جائحة وإن كان له ثمن، لأنه إنما يجذ إذا يبس، إلا أنه إن سقط الثلث، فلا جائحة إذا رجع بعضه وهو ثمن الساقط. فلو سقط أكثر من الثلث وثمنه مثل الثلث فهو جائحة ويحسب عليه ثمن ما باع"، أما إذا سقط الثلث فهي جائحة وفيها قولان عند الفقيه اللخمي قال: فإن كان بها سموم فقط فتقدر وتعوض، وإن كان مع ثلثها رجع بمناب الساقط[2].

قال: إذا أكل الدود الزرع الثلث أو أكثر فعليه "رد الساقط أو حبسه ولا يحط عنه شيء"، وإن سقط منها الثلث فله حبسه ويحط عنه بما سقط وما أكله الدود، وإن اشتراه في وقت نموه وبعدها أجيح هذا الزرع ويبس فلا جائحة فيه.

قال ابن رشد إذا أصيب الزرع قبل نضجه فيه اتفاقًا، "وما أجيح بعد إمكان جذاذه بعد طيبه وقبل مضي ما يؤخر إليه جذه عادة تجري على اختلاف قول مالك"[3].

جواب الفقيه اللخمي عن السؤال المقدم له عن جائحة البقول، حيث قال: "اختلف فيها على خمسة أقوال: فقيل من مشتريها مطلقًا، وقيل من البائع مطلقًا، وقيل إن لم يكن لها قدر فلا رجوع، وإن كان لها قدر رجع وإن لم تبلغ الثلث، وقيل حتى تبلغ الثلث، وقيل إن كان مما لا تجوز مساقاتها بحال رجع بقليله وكثيرة، ولا تجوز مساقاته للضرورة كالجزر واللفت والبصل والفجل وكل ما لا يخلف فيعتبر فيه الثلث. واختاره هو: إن كانت العادة السلامة فيه فنزلت جائحة به على خلاف العادة فيرجع بقليله وكثيره ولا حد فيها. وإن

[1] حسن الوزان، المصدر السابق، ج 01، ص ص79 – 80.
[2] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج03، ص 392.
[3] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج3، ص ص 392 - 393.

كانت العادة السقوط وأصيب فيه القدر المعتاد فلا رجوع بشيء، وإن زادت على المعتاد بأمر يُتَحسَّس لمثله في الثمن وضع، والبقل واللفت وغيرهما فيه سوء"[1].

سئل الفقيه اللخمي عن الذي اشترى غلةً بكل أصنافها وأجاح أحد أصنافه، فأجاب قال: من اشترى غلةً بأصنافها وأجيحت أحد أصنافها، فتوضع الجائحة على هذا الصنف فقط إذا بلغ هذا الصنف الثلث من الغلة، أما قال ابن حبيب الذي لم يفرق ابن القاسم: "إن بلغت الجائحة ثلث الثمرة رجع بثلث الثمن فلا تقويم وما تأوّله عن ابن القاسم بعيد عن مذهبه[2].

يذكر الفقيه الونشريسي بعض مشاكل الفلاحة و منها أنّه ذكر الجراد الذي اجتاح على المحاصيل الزراعية المكتراة أرضها وجاء في قوله سئل الفقيه القاضي أبو محمد عبد الرحمان اليزناسي عمن اكترى أرضا وغرسها ثم اجتاح عليها الجراد، فأجاب لا شيء على مكتري الأرض من كرائها[3].

وسئل الفقيه ابن أبي زيد عن الرمان والتين والخوخ الذي يطيب بطن عن بطن؟ فأجاب: "سبيله سبيل ما توضع فيه ثلث الثمرة بثلث الثمن.

ثم سئل عن الدود الذي يأكل ورق التوت هل توضع الجائحة فيه؟ فأجاب:" نعم توضع الجائحة إن لم يجد مشترى له"، وإن جاء من يشتريه بثمن زهيد؟ فأجاب: لا توضع عنه الجائحة.[4]

ومن هذه الجوائح التي ذكرها الفقيه البرزلي منها: جائحة القحط والجفاف والريح والمرض والدود واليبس والجذاذ والثلج والبرد والصقيع والفيضان، كذلك الجوائح البشرية منها العدوى والعسكر والناس الذين يقتحمون المزارع ويأكلونها وينهبون، فهذه الجوائح جاءت فيها أسئلة كثيرة تطرقنا إليها في بحثنا هذا، وكانت فيها أجوبة من طرف الفقهاء في بلاد المغرب الأوسط أو بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، فمن هذه الجوائح تجلب الغلاء

[1] المصدر نفسه، ج3، ص 394.
[2] المصدر نفسه، ج3، ص 396.
[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج08، ص 275.
[4] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج3، ص 398.

والبلاء والوباء على أهل البلاد التي تنزل فيها الجوائح الطبيعية والجوائح البشرية، فأجاب التونسي عن هذه الأحداث حيث قال: "الأقرب في هذه المسائل أنا تجري على إحداث ما ينقص الثمن بجاره أو ينقص الغلة كذلك"[1].

أما الطرار عن الشعباني: فقد قال في هذه الجوائح أن "الكساد وغلاء السعر وسواء أحداث المبتاع ومصيبته بعد الجذاذ ليس بجائحة، ولو أجيح بعد موت البائع فالجائحة باقية في ماله.

سئل الفقيه ابن رشد عمن اكترى أرض ثم زرعها وبعدها أغرقها المطر ثم القحط هل يلزمه الكراء أم لا؟ فأجاب الفقيه: إذا أصابه القحط فلا كراء عليه، وسئل عمن اكترى زرعا وأصابه القحط أو حمله السيل أو انقطع الجبل على هذه الأراضي؟، فأجاب: أن لا كراء عليه[2].

وسئل ابن محرز عمن اشترى نخل وقطعها رجل بعد أن بيعة؟ فأجاب: "الذي يجب عندي أن يقوّم النخل على أن لو جاز بيعها على بقاء خراجها على بائعها كم تسوى فتكون قيمتها"[3].

إن الجوائح الطبيعية إذا توالت على بلاد المغرب الأوسط خاصة وبلاد المغرب الإسلامي عامة، يصدر عنها المجاعات والمجاعة يصدر عنها الوباء مثل: مجاعات (617هـ/ 1220م)، و(679هـ/ 1280م)، (693هـ/ 1293م)، و(698هـ/ 1293م)، (723هـ/ 1323م)، (724هـ/ 1324م)، (734هـ/ 1333م)، أما الطاعون الخطير نتج عن المجاعة مثل: سنة (749هـ/ 1348م)، و(776هـ/ 1374م)، و(764هـ/ 1363م)، فهذه المجاعات والطواعين تسببت في ركود التجارة الداخلية والخارجية[4].

[1] المصدر نفسه، ج3، ص 399.
[2] المصدر نفسه، ج3، ص 638.
[3] المصدر نفسه، ج3، ص ص400 - 401.
[4] محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص 24.

2.1.3. تأثير الجوائح الطبيعية على النشاط الحرفي والصناعي

تعتبر الحرف والصناعات بالمغرب الأوسط بصفة خاصة، وبلاد المغرب الإسلامي والأندلس والبلدان المجاورة بصفة عامة عنصرا هاما وأساسيا في الحياة البشرية، فالإنسان في هذا النشاط يحول المواد الأولية إلى مواد نصف مصنعة ومصنعة، ثم يسوّقها داخليا أو خارجيا للحصول على موارد مالية يسد بها حاجياته.

ومن الأنشطة الحرفية التي يمارسها حرفي المغرب الأوسط وتحتاج إلى مواد أولية (زراعية، حيوانية، معدنية...)، نجد حرفة النسيج، التي تعتمد على غزل الصوف والحياكة، بهدف صناعة مختلف الألبسة والأفرشة والأغطية والزينة للنساء والرجال، وصناعة الفخار والجلود والطعام وبناء البيوت وصنع أدوات الكتابة وغيرها من الصناعات التي تمسك بها أهل بلاد المغرب الأوسط، فكانت تلمسان مركزا للزراعة والصناعة والتجارة.[1]

فاشتهرت هذه الصناعات في المدن أكثر من البادية، وأفادت المصادر بأنّ مدن المغرب الأوسط كانت تعجّ بالأسواق الكثيرة والمراكز التجارية.[2]

وتعتبر الأرحية من الحرف والصناعات الهامة، التي اعتمدها مجتمع المغرب الأوسط، لما لها من أهمية كبرى في تحويل المواد الزراعية إلى مواد نصف مصنعة تستخدم في صناعة مختلف الأطعمة، حيث جاء في أحد الأسئلة: إذا قلَّ الواردون الذين كانوا يأتون بالطعام من أجل الطحن، هل هذه الظاهرة جائحة يصدر بها الكراء أم لا؟ فكان الجواب، إذا قلَّ الواردون إلى الفنادق المكتراة لنزول فيها لسبب قلة الطعام لرحى أو الخوف الذي ساد في الطريق سواءً كان سببه جوائح طبيعية أو جوائح بشرية، فهنا يكون الكاري مخيرًا إما أن يتمسك بالكراء ويحط به الكراءُ أو يتركه[3].

نرى من هذا القول أن الحرف والصناعات أغلبها جاءت من بلاد الأندلس إلى بلاد المغرب تلمسان إلى المراكز الحضارية منها تلمسان وبجاية والجزائر، بسبب النزاعات والحروب التي كانت بين كملوك الطوائف من جهة الإسبان من جهة أخرى، فأصبحت بلاد المغرب الأوسط

---

[1] محمد بن ساعو، المرجع نفسه، ص 26.

[2] نورالدين غرداوي، المرجع السابق، ج01، ص 35.

[3] ابن رشد القرطبي المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 1282.

تعج بأهم الحرف والصنائع القادمين من الأندلس خاصة مدينة تلمسان، ومن جرّاء هذا التطور الحضاري الذي شهدته بلاد المغرب الأوسط كثرت الحرائق الناتجة عن المصانع التي انتشرت في كل مكان[1].

3.1.3. تأثير الجوائح الطبيعية على النشاط التجاري

تأتي التجارة بعد الزراعة والصناعة التي تتمثل في بيع المنتوجات الفلاحية والصناعية سواء مواد أولية أو خامة أو نصف مصنعة أو مصنعة، مثل ما تناولته في النشاط الزراعي والنشاط الحرفي والصناعي سابقًا، فالنشاط التجاري تـمسك به سكان المغرب الأوسط، سواءً تجارة داخلية أو تجارة خارجية، وهو شريان الحياة الاقتصادية، يدخل الرفاهية والبذخ لمجتمع المغرب الأوسط.

وبالعودة إلى كتب النوازل وقفنا على العديد من نوازل الجوائح الطبيعية التي تتعلق بالنشاط التجاري، تشير بعض الأسئلة التي وردت على فقهاء المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط إلى الجوائح الطبيعية التي تتعلق بالنشاط الزراعي وتأثيرها على النشاط التجاري، حيث سئل الفقيه الأجل الإمام الحافظ القاضي العدل أبو الوليد بن رشد شيخنا رضي الله عنه على جائحة أصابت البلاد وضعف العباد وقلت التجارة، هل يلزم الكراء على المكتري أم لا؟، أجاب: ينظر القاضي إلى دخل الحوانيت ويقدر الكراء على حسب الدخل.[2]

كما أورد البرزلي نازلة عن تجار من صقلية إلى سوسة و رمتهم الرياح إلى نواحي تونس تجدّد السؤال عنها في بلاد المغرب حول تأثير الرياح العاتية على مراكب التجارة وعن كيفية استخلاص الكراء لصاحب المركب في حال غيرت الرياح وجهة السفينة بما يلحق الضرر بصاحب التجارة المكتري فأجاب الفقيه ابن شلبون بأنّه: «إذا كان المرسى الذي نزلوا به مأمونا فالذي دوّر المركب بغير إذن التجار ضامن لما أغرمهم السلطان، وكذا لو قدّر على مرسى مأمون غير هذا فكره ودار إلى هذا، وأمّا لو كان غير مأمون واضطروا إلى هذا فلا ضمان على صاحب المركب... »[3].

---

[1] محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص 26.

[2] ابن رشد القرطبي المالكي، المصدر السابق، ج1، ص ص1283 - 1284.

[3] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج3، ص638.

كما يتحدث حسن الوزان عن جائحة الرياح والثلوج اللتين تعتبران عائقا أمام التجار الذين يأتون إلى بلاد المغرب الأوسط، من كل مكان سواءً من بلاد فاس أو تافيلالت أو غيرهما، وكذلك من بلاد الأندلس وأوربا والمشرق الإسلامي، فهذه الجوائح الطبيعية تشكل خطراً على التجار وتوقف التجارة والترحال بين البلدان خوفاً على حياتهم وممتلكاتهم، حيث أن بلاد المغرب الأوسط كانت تتميز في فصل الشتاء بالبرد القارس والثلوج الكثيفة والجليد والأمطار الغزيرة والرياح وغيرها من الجوائح الطبيعية.[1]

فعلم الجغرافيا البشرية والجغرافيا الاقتصادية[2] يبينا مدى تأثير الحرابة التي تعتبر من الجوائح البشرية على النشاط التجاري، مثل الجوائح الطبيعية التي عرقلت طريق سير التجار إلى البلدان المجاورة، مثل: المغرب الأقصى والمغرب الأدنى وإفريقيا جنوب الصحراء، حيث أن ظاهرة اللصوصية التي انتشرت خلال القرنين (7- 8هـ/ 14-15م)[3]، حيث أصبح التجار يخشون من اللصوص وقطاع الطرق على أنفسهم وعلى تجارتهم، لهذا تقلصت التجارة بالمغرب الأوسط، وأصبحت مهددة، وانحصرت في التجارة الداخلية.[4]

هذه الجوائح الطبيعية تأتي في غالب الأحيان في فصل الشتاء الذي يتحدث عنه ويصفه حسن الوزان بأنه يبدأ في أغلب البلدان من شهر أكتوبر حتى شهر ديسمبر، أما البرد الشديد القارس يظهر في شهر جانفي، مثل: وقتنا الحالي، أما شهري فيفري ومارس تتميز بالرياح القوية التي تقلع الديار والأشجار وتخرب المحاصيل الزراعية حتى أن تقتل الإنسان والحيوان، ففي هذه الأشهر التي تميزت بالجوائح الطبيعية في بلاد المغرب الأوسط وتمنع سير التجار القادمين إليه من كل مكان بعيد أو قريب.[5]

---

[1] حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 73.

[2] محمد بالفقيه، الجغرافيا القول فيها والقول عنها، النشر العربي الإفريقي، المغرب، د س، ص 12.

[3] نورالدين غرداوي، المرجع السابق، ج01، ص 36.

[4] محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص 30.

[5] حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص77 – 78.

2.3. تأثير الجوائح الطبيعية على الحياة الاجتماعية

إذا كان من المتفق عليه أن الجوائح والكوارث الطبيعية هي فعل قسري خارج عن نطاق الإنسان فإنّ تأثيرها سيكون متفاوتا حتما على معطيات الحياة وعلى السير العادي لنمط معيشة الساكنة، فالنوازل جاءت ليبحث الفقهاء فيها عن مخارج لارتباك مختلف الأنشطة الكسبية، ولتبدّل أحوال المعيشة، ذلك أنّ أوّل ما تصيب الجوائح تصيب الأرض والزروع والثمار والمساكن، وتؤثر على تحصيل أسباب الكسب فيبحث الجميع عن حلول لا تضرّ بأحوال الناس ومعاملاتهم.

1.2.3. المجتمع

تعايش مجتمع المغرب الأوسط مع الجوائح الطبيعية التي عرفها المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، حيث كانت الأوبئة والجوائح الطبيعية تحل بهم تقريبا كل عشر أو خمسة عشر سنة، وتأتي على الأخضر واليابس، وهناك من يقول من المؤرخين والباحثين أن بعض الجوائح تأتي من سنة إلى أخرى، حتى وإن لاحظنا أنّ هذه الجوائح انتشرت منذ الزمن القديم فإنّ ذروتها زادت خلال العصر الوسيط مثل: الطاعون الجارف الذي حدث سنة (748هـ/ 1347) وحصد الكثير من أرواح الناس.[1]

وهذه الجوائح كانت تتسبّب في الأوبئة والمجاعات التي قتلت الكثير من البشر، فكان الفقهاء والعلماء والولاة يقومون بتوزيع الحنطة والأغذية في الأيام الصعبة إلى الناس وتوزيعها عليهم إلى أن يتغلبوا عن هذه الظروف الصعبة.[2]

كما ترتب على هذه الجوائح الطبيعية الكثير من المشاكل المعاشية الخاصة بساكنة المغرب الأوسط أو البلدان المجاورة لها، ومن هذه المشاكل نجد انتشار الحرابة والنهب والسرقة والانحلال الخلقي والقتل، ومست كذلك الجانب الديني والعقدي[3] مثل انتشار ظاهرة الردة[4]، فكان الناس يعتقدون أن النصارى يملكون كل المواد الغذائية التي تلزم أهل

[1] محمد حسن، المرجع السابق، ج01، ص 610.
[2] الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 68.
[3] نورالدين غرداوي، المرجع السابق، ج01، ص 71.
[4] المرجع نفسه، ص 29.

ساكنة المغرب الإسلامي في فترة القحط والجفاف، الذي سبب المجاعة، وهذه الأخيرة كانت سببا إلى الردة من أجل أخذ الغذاء من عند النصارى.[1]

كلما ظهرت الجوائح الطبيعية أو الوباء تصدّى له الكثير من العلماء والأولياء الذين عرفوا بالكرامات وذلك بإطعام الفقراء والمساكين ومداواة المرضي الذي مسّتهم الأوبئة والأمراض، مثل مرض الجذام والبرص والطاعون وغيرها من الأمراض المستعصية والمجاعات التي حلت بسبب جائحة الجفاف.[2]

كما تعتبر الحروب جائحة من الجوائح البشرية ينتج عنها المجاعات، مثل الحصار الشديد الذي ضرب تلمسان وهو الحصار الذي قام به أبي يعقوب المريني على تلمسان كان (يوم الجمعة 02 شعبان 696هـ/ يوم الجمعة 06 جوان 1297م) فتخلصت تلمسان من هذا الحصار في شهر ذي القعدة (706هـ/ 1306م)، فهذا الحصار دام 08 سنوات و03 أشهر حتى أصبح أهل مدينة تلمسان يأكلون الجيفة والحيوانات وبلغ الأمر أن وصفهم ابن الأحمر بأنهم أكلوا موتاهم.[3]

وفي عهد الفقيه الصوفي ابن صعد - الذي تقرب من السلطة الزيانية، فبدأ بنشر العلم وإلقاء المحاضرات الدينية والفقهية- اجتاح الوباء والطاعون الذي أزَّم هذه الفترة، فتدهورت الأوضاع وانعدم الأمن والاستقرار وانحرف الناس إلى الطريق الخاطئ، فأراد ابن صعد تغيير هذه الأوضاع إلى الأحسن وهذه الفكرة غاية التيار الصوفي والسلطة الزيانية، فبدأ بنصح وإرشاد الناس عامة وتوعيتهم بأن هذا الوباء سوف يزول، أما الأخلاق فتدوم عليكم بالتمسك بالدين الإسلامي وأخلاقه والابتعاد عن الأعمال الدنيئة، التي تهلك المجتمع وتغضب الله سبحانه وتعالى.[4] وكذلك ندائه لسلطان يغمراسن أن ينظر إلى رعيته وينصفهم ويقدم لهم حقّهم في هذه الأزمة، ثم بدأ ينشر أخبار الرسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة أجمعين وقصة عمر ابن الخطاب وتفقّد رعيته، وسالم بن عبد الله الذي كان

[1] محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين (16-17م)، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، 1998م، ص 143.

[2] الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 43.

[3] خالد بالعربي، المرجع السابق، ص 22.

[4] الطاهر منزل، المرجع السابق، ص ص90 - 91.

غذائه الخبز والزيت، وسلمة بن دينار الذي توقف عن شراء الفواكه، ثم تحدث عن عقاب المحتكرين وغلاء الأسعار لمّا ظهرت مجاعة التي دامت 31 سنة، فكانت تظهر تقريبا كل سنتين أو ثلاث سنوات، فيرجع سببها إلى الحصار المتتالي والمتعاقب على تلمسان في العهد الزياني من سنة (760هـ- 791هـ/ 1359- 1389م).[1]

وبسبب الأيام الصعبة التي تأتي فيها الجوائح الطبيعية قام أهل البلاد بحفر مطامير وخوابي وأهراء من أجل تخزين الحبوب وكل المواد التي لا تفسد لادخارها للأيام الصعبة، مثلما كان ابن مرزوق الخطيب يفعله أيام الجوائح الطبيعية، فهذه الظاهرة الخيرية كانت منتشرة في بلاد المغرب الأوسط يقول أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني: "حدثني عمي رحمه الله تعالى، أنه كانت له مطامير من القمح والفحم، وكان يعد اللحم المدخر، المعروف بالمسيلي، وبالخليع والزيت، فإذا كان يوم الثلج، فتح مطمورة من القمح وأخرى من فحم، ويتصدق بالزرع والفحم والإدام طول يومه، فلا يرجع إلى داره حتى يفرغ من المطمورتين".[2]

يذكر عبد الرحمان ابن خلدون أن البيئة الحارة تولد الجفاف، والجفاف ينتج عنه نقص التغذية، ونقص التغذية تعود إلى الحيطة والحذر، فلهذا اتخذ الناس أماكن كالأهواء والخوابي من أجل تخزين المنتوجات والأغذية لسنين القحط، فالمغرب الأوسط منطقة نصفها صحراء جافة حارة صيفاً، وباردة شتاء، وقليلة الأمطار، فمن هذا المناخ ينتج قلة الانتاج وسوء التغذية ويتبعه الوباء.[3]

وعلى إثر ذلك تميزت قبائل المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط بالجود والكرم وحماية المظلوم وإطعام الجائع وتقديم الأدوية والمساعدات الطبية للمرضي، حيث أسسوا المارستانات وزوايا لتداوي المرضى من مختلف الأمراض كالجذام والطاعون، وكان المشرف على هذه المؤسسات الصحية والخيرية يجمع الأموال والدعم من (المحسنين، شيوخ القبائل، موظفي السلطة السياسية)، ليقضي بها حاجة المريض (فيشفى جميع المجذومين من المرض،

[1] خالد بالعربي، المرجع السابق، ص 22.

[2] أبي عبد الله محمد بن مرزوق التِّلمساني (781هـ)، المصدر السابق، ص ص190 - 191.

[3] ابن حسان الوسياني، المصدر السابق، ج01، ص ص46 - 47.

وكذلك البرص والأمراض المزمنة التي انتشرت خلال تلك الفترة بالمغرب الأوسط) ويقضي حاجة عابر السبيل، فكانت المارستانات منتشرة في المناطق العمرانية.[1]

وهو الذي وصفه ابن بطوطة[2] لمّا سار إلى مدينة قسنطينة فلقي الاحترام والكَرَم والجود بعد أن نزل المطر الكثير على رفاق الرحالة الجغرافي ابن بطوطة وهم ينامون داخل الأخبية، بعد أن تبللت وتلوثت ملابسهم، فأكرمهم السلطان والقوم من ملابس ومأكل، فهذه من معاملات المسلمين وحماية المستضعفين من جوع ونوم وعدوٍّ [3] وتعتبر حقوقا مجتمعية تفرضها أخلاق وتديّن ساكنة المغرب الأوسط لما تميزوا به من صفات الجود والكرم، تتوافق مع تدينهم وحسن منبتهم وتكافلهم وتراحمهم.

جاء في المدونة أنّ الجوائح الطبيعية التي تأتي من عند الله تعلى منها: "الجراد والنار والريح والغرق والبرد والمطر والطير والدود وعين الشجرة في الحر والسموم" فهم جوائح، أما الناس واللصوص والعسكر إن لم يعرفوا فهذا يعتبر جائحة، أما الفقيه ابن نافع قال: اللص هو جائحة، أما الفقيهان ابن رشد والباجي ذكر بأن العسكر ليس بجائحة كاللص، أما الفقيه عبد الحق قال: السارق إن لم يعرف جائحة، وإن عرف يغرم ويدفع لشاري وليس جائحة، قال الفقيه ابن رشد: "أن لا جائحة في السارق ولا ما يأخذه السلطان"[4].

فهناك بعض الفقهاء يعتبرون السارق جائحة ومنهم من لا يعتبر أنه جائحة بل يغرم السارق ويحبس، فتمثل السارق في سرقة أملاك الناس والدولة، لذلك قال الفقيه مالك بعد أن سئل عن جماعة من بلاد المغرب الأوسط تشكل خطرًا على أهل البلاد وسلب أملاكهم، قال: "في أعراب قطعوا الطريق جهادهم أحب إليَّ من جهاد الروم"، مما جاء في الحديث: "من قتل دون ماله أو دون المسلمين فهو أعظم لأجره"، حيث قال الفقيه ابن القاسم: إتباعهم وقتالهم، أما ابن سحنون قال: يتبعون ويقتلون بدون توبة، أما الفقيه أبو مهدي سيدي عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني قال: يقتلوا، من حديث رسول الله صلى الله

[1] محمد حسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص 278.
[2] عبد الرحمان شرنولي، البحث الجغرافي، دار القاهرة، مصر، 1978 م، ص30 - 31.
[3] حسن مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، القاهرة، مصر، 2003 م، ص 34.
[4] ابن رشد القرطبي المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 1615.

عليه وسلم:[إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعًا من الناس، ولكن يقبض الْعلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُترك عالما اتخذ الناس رؤُوسًا فأفتواْ بغير علم فضلُّوا وأضَلُّوا] فطبقها على أهل الحرابة.[1]

قال الله سبحانه وتعالى: {إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يُقَتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزيٌ في الدنيا وله في الآخرة عذاب عظيم} المائدة 33[2]، فهذه الآية شرحها الإمام مالك والشافعي والثوري في كتاب الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية لأبي عبد الله محمد أبي أحمد ابن الشماع.[3]

2.2.3. المجاعات الناتجة عن الجوائح الطبيعية

تعتبر المجاعات من الأسباب التي تؤدي إلى هلاك الإنسان وموتهم من الجوع وترتب الوباء عنه حيث قال عبد الرحمان ابن خلدون في مقدمته: "إن المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدول والسبب فيه: إما المجاعات فلقبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات أو الفتن الواقعة في انتقاص الرعايا وكثرت الخوارج لهرم الدولة فيقل احتكار الزرع غالبا وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر الوجود ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الأمطار وقلتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر والزرع والثمار والضرع على نسبته إلا أن الناس واثقون في أقواتهم بالاحتكار ... توقع الناس للمجاعات فغلاء الزرع ... فشمل الناس الجوع وأن كثرة الموتان لها أسباب من كثرت المجاعات ... فساد الهواء بكثرة العمران ... وهذه هي الطواعين"[4].

---

[1] الونشريسي، المصدر السابق، ج06، ص ص153 - 155.

[2] سورة المائدة، الآية 33.

[3] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م، ص 134.

[4] عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج01، ص 242.

ونلاحظ أن بلاد المغرب الأقصى كان يصيبها الجفاف والمجاعات والأوبئة أكثر من بلاد المغرب الأوسط وهذا يرجع إلى كلام عبد الرحمان ابن خلدون أن الهواء العفن والمجاعة النبي نتجت عن الجفاف يتسببا في ظهور الوباء الذي قتل الآلاف من البشر في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، ودام هذا الوباء في بلاد المغرب الأقصى حوالي 37 سنة الممتدة من سنة (614هـ/ 1217م) إلى سنة (651هـ/ 1253م)، بعد أن بقي هذا الوباء الذي انجرت عنه مجاعة حتى القرن الثامن الذي مسّ الكيان الديمغرافي[1].

كان المؤرخون والفقهاء يصفون المجاعة بالعاصفة التي حلت بالبلاد، "فمن آثار القحوط والمجاعات الشديدة التي ألمت بالحوض المتوسطي عموما إبان القرن (08هـ/ 14م) وفي هذا الصدد عصفت مجاعة عظيمة ... قحطاً شديداً عام (746هـ/ 1374م) مما مهَّد الظروف لتفشي الطاعون الأسود" لذلك نستنتج أن المجاعات عصفت العديد من المرات في بلاد المغرب الإسلامي عامة وبلاد المغرب الأوسط خاصة خلال القرنين (07- 08هـ/ 13- 14م) حتى انتشرت في بلاد الأندلس وجلبها للوباء القاتل المفرط في حق الناس، مثل مجاعة الممتدة بين سنتي (770- 777هـ/ 1369- 1376م)[2].

ففي سنة (927هـ/ 1520م) شهدت بلاد المغرب الأوسط مجاعة شديدة توفي فيها خلق كثير، وارتفع الغلاء وشدة البلاء وقلة الغذاء، إلى أن ضعفت الدولة، والمجاعة تسبب ضعف الدولة وزوالها وكذلك ظهور الوباء بعد المجاعة التي مست أهل المغرب الأوسط[3].

ونلاحظ أن الجوائح الطبيعية تؤدي إلى المجاعة مثل الفيضان والسيول والجفاف الذي كان في بلاد المغرب الأوسط من فترة إلى أخرى ويأتي في بعض السنين، فبسبب الجفاف المتتالي على البلاد فيقل الغذاء وتظهر المجاعة، ومن هذه المجاعة ينشأ الوباء الذي يمس بالإنسان ويقتله، وهذه المجاعة ظهرت في بلاد المغرب الأوسط في العصر الوسيط، مقارنة بالقرن التاسع عشر ميلادي نلاحظ ظهور المجاعة مثلما كانت في العصر الوسيط، أي من سنة (1209- 1312هـ / 1795- 1895م) باتت مجاعة مفرطة حتى أصبح الإنسان لا يتحمل

[1] الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 47.
[2] عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص 35.
[3] أبوا العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص 160.

الجوع وبعد هذه المجاعة انتشر الوباء فقتل الكثير من العباد، حيث انتشرت الكوليرا البحر الأبيض المتوسط سنة (1264هـ/ 1848م)، وعادت من جديد سنة (1281هـ/ 1865م)، ثم ظهرت سنة (1284هـ/ 1868م)، وفي سنة (1305هـ/ 1888م) مرض الماء بروائح كريهة[1].

3.2.3. الوباء والأمراض الناجمة عن المجاعة

وسئل الفقيه عمّن اشترى أمة بصحة جيدة ولكن بعد البيع مرضت بالجذري ثم ماتت، فهل المشتري يرجع على البائع أم لا؟ فأجاب: أن الجذري ليس من الأمراض الأربعة منها: الجنون والجذام والبرص والحمْل، فالجذري ليس مذكور في هذه الأمراض، لكن بعض الفقهاء قالوا أن الجُذْرِي من الجذام[2].

سئل الفقيه ابن رشد عن رجل قام بكراء أرضه لرجل أخر لمدة وقبل انتهاء هذه المدة توفي صاحب الأرض بالوباء أو بأحد الجوائح الطبيعية أو البشرية، هل تأخذ أرضه إلى الورثة أو يأخذها المكتري أو تحبس؟ حيث أجاب: تعود الأرض إلى ورثته، وإن لم يوجد ورثة تحبس، أما إذا قام الورثة بأخذ أرضهم من المكتري قبل وصول وقت إنهاء اكتراء الأرض، فيأخذ المكتري قطعة بمقدار القيمة التي تبقت لهذه المدة[3].

سئل الفقيه عمن تزوج بِكْرًا وكان بها جذري من قبل ولكن برئت منه عند العقد وبعد الزواج عاد إليها الجذري وتوفيت وادعي وليها بأن زوجها كان يصب عليها الماء البارد لتداوي لكنها توفيت، هل يلزمه الصداق أملا؟ فأجاب الفقيه: إن الصداق لازم له، أما الجذري مرض وبرئت منه[4].

يتضح لنا من هذه الجوائح الطبيعية التي تسببت في المجاعة والأمراض والأوبئة والترحال من منطقة إلى أخرى من أجل كسب الكلأ، ونتج عنها الحرابة والسرقة والقتل والزنا والرذائل والمنكر والجهل والخراب والفساد وأخذ أموال الناس بالغصب وغيرها من المشاكل السلبية

---

[1] دَانْيِيْل شْرُوْتَرْ، تجار الصويرة المجتمع الحضريُّ والإمبرياليةُ في جنوبي غربِ المغربِ (1844– 1886م)، تعريب خالد بن الصغير، سلسلة النصوص والأعمال المترجمة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، دار النجاح الجديدة بالبيضاء، المملكة المغربية، 1997، ص ص367 – 368.

[2] أبو عبد الله سيدي محمد المهدي (1342هـ)، المصدر السابق، ج03، ص 43.

[3] ابن رشد القرطبي المالكي، المصدر السابق، ج1، ص ص1540 - 1541.

[4] أبو عبد الله سيدي محمد المهدي، المصدر السابق، ج02، ص 154.

الاجتماعية، حتى أن سماها الفقهاء المهمشون، فمن هذه الأحداث صدرت بعض فتاوى الفقهاء من أجل تحريم والنهي عن هذه المنكرات التي ارتكبها أهل بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (07- 08هـ/ 13- 14م)[1].

3.3. تأثير الجوائح الطبيعية على الحياة السياسية والعسكرية

يحرص السلطان في سائر الأوقات على رعاية أحوال الرّعية وتحسين أحوال الكسب والمعاش لديهم لينال رضى العامة والخاصة، ويكون الأمر في غاية الأهمّية عند حدوث الجوائح والكوارث بشتّى أصنافها خاصة ما يكون منها عاما شاملا يؤثر في مجالات حكم السلطان وقطر دولته، لقد سجلت كتب النوازل انخراط السلطان والنخب في محاولة تخفيف آثار تلك الجوائح على تفاوت بين الحكّام والسلاطين وإمكانياتهم المادية وقوّة استحكام دولهم.

1.3.3. أثر الجوائح الطبيعية على السلطة الحاكمة

عند ظهور أي وباء أو مرض أين كان فله تأثير على الدولة أو السلطة الحاكمة واقتصادها، فتتصدى له بأي محاولة للتخلص منه، مثل: الوباء الذي ظهر بالمغرب الأوسط وبلاد إسبانيا خلال العصر الوسيط، حيث قامت السلطة الحاكمة في إسبانيا ببناء دور للذين أصابهم الوباء وحدهم والاعتناء بهم حتى الحد من انتشار هذا الوباء الذي كانوا يسموه بالبرص، وأهل تونس كانوا يطلقون عليه اسم داء الإفرنج.[2]

وعندما وصل هذا الوباء إلى المغرب الأوسط حصد الكثير من الأرواح، فتقلص النشاط الاقتصادي واضطربت الأحوال الأمنية والسياسية داخل الدولة الزيانية، ونشأ الصراع داخل الأسرة الحاكمة، مثل النزاع الذي حدث بين أبي حمو موسى الزياني وابن عمه أبي زيان بن سعيد خلال القرن (8هـ/14م)، وانقسام البلاد إلى قسمين، فشرق المغرب الأوسط إلى أبي زيان وتلمسان وغربها إلى أبو حمو موسى الثاني.[3]

---

[1] محمد حسن، المرجع السابق، ج01، ص 635.

[2] خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 5.

[3] عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص 22.

ومما زاد من وطأة الأحوال الأمنية والسياسية بالدولة الزيانية، هو تكالب الحفصيين والمرينيين عليهم، وتأزم الأوضاع الاقتصادية نتيجة تأثير الجوائح الطبيعية السالفة الذكر أو الصراعات البشرية، فكثر المجاعات ونتج عنها الأمراض والأوبئة.[1]

كان الحكام والولاة في الأيام الصعبة التي تصادف فيها المجتمع جوائح طبيعية قاتلة يعودون إلى إيجاد حلول وتدابير تخلص الناس من هذه الجوائح مثل ما حدث في عهد الخليفة الفاطمي القائم (322– 334هـ/ 934– 946م) الذي قام بناء مطامير والادخار فيها الحبوب إلى أيام القحط والكوارث الطبيعية، فعندما انحبس المطر وجفت الأرض وزادت الأسعار ارتفاعًا ونقص في قيمتها، فأرسل إلى أبي القاسم الذي كان من موالاة أبيه، من أجل أن يسأله عن البيع لصعوبة العيش، من أجل تحقيق العيش بالنسبة للإنسان والحيوان.[2]

شهد القرنين (07- 08هـ/ 13– 14م) مجاعة شديدة وأوبئة بالمغرب الأوسط حتى أصبح الناس يتنافرون من بعضهم البعض بسبب الوباء وكثرة الحرابة وتدني المستوى المعيشي حيث أن سنتي (693– 695هـ/ 1294– 1296م) اشتد فيهما الوباء وكثرت الموت، وأشتد القحط في سنتي (723- 724هـ/ 1323– 1324م) وأدى هذا إلى ارتفاع الأسعار، فسعى حكام الدولة الزيانية إلى فتح المخازن أمام السكان، وقدّموا الإعانة لهم.[3]

كما تعرض سكان المغرب في العديد من المرات للمجاعة والطاعون الأسود الجارف الذي هلك الناس، مثل مجاعة تلمسان سنة (776هـ/ 1373م).[4]

ومن هذه المجاعات التي وصفها لنا يحي ابن خلدون بقوله: "مجاعة شديدة أكل فيها الناس بعضهم البعض"، فهذه المجاعة خلفت الوباء الكثير الذي عمّ جميع بلدان المغرب الإسلامي حتى بلاد الأندلس، فمن سنة (873هـ/ 1468م) إلى سنة (899هـ/ 1493م) شهدت بلاد المغرب الأقصى والأوسط والأدنى مجاعة شديدة التي نتج عنها الخراب والوباء والحروب

[1] الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص 185.
[2] نوال بلمداني، المرجع السابق، ص 50.
[3] نبيل شريخي، المرجع السابق، ص 33.
[4] أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص 50.

ووفاة خلق كثير، حيث بلغ عدد الوفيات أربعة عشر ألف متوفى في اليوم الواحد[1]، ومن الأسباب التي خلفت المجاعة منها الجوائح الطبيعية مثل: الرياح والأعاصير والصرِّ والفيضان والسيول والثلوج والبرد والقحط والجفاف والزلزال وغيرهم من الجوائح الطبيعية، كذلك الجوائح البشرية مثل: الحرابة والسرقة والنهب والحروب وغيرهم من الجوائح البشرية.[2]

كما تعتبر الجوائح البشرية التي تتمثل في الحرابة وقطاع الطرق من بين الأسباب التي أدت إلى الاضطرابات الأمنية والسياسية، وانعكست سلبا على الحياة الاجتماعية.

ويؤكّد هذا مسألة من النوازل عند المازوني مضمونها أنّ الفقيه أبي العباس أحمد المريض سأل شيخه ابن عرفة: «عن قتال بني عامر وسويد عام ستة وتسعين وسبعمائة... وهي جماعة بمغربنا من العرب تبلغ ما بين فارسها وراجلها قد عشرة آلاف أو تزيد، ليس لهم حرفة إلاّ شن الغارات وقطع الطرقات على المساكين وسفك دمائهم وانتهاب أموالهم بغير حق ... مع أنّ أحكام السلطان أو نائبه لا تنالهم بل ضعف عن مقاومتهم فضلا عن ردعهم...»[3].

وجاء في نازلة أخرى في نفس السياق حول أموال قطّاع الطرق الغصّاب في بلاد المغرب الأوسط الذين يمنحون من أموالهم المغتصبة أهل رباط فقراء يتعيشون على الصدقات وما إن كان يحلّ لهم الانتفاع بتلك الصدقات فأجاب سيدي عبد الرحمن الوغليسي بما يفيد حرمة أخذ تلك الأموال لأنّها مال وكسب حرام وتعين الظّالم على ظلمه[4].

---

[1] نبيل شريخي، دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع هجري (14- 15ه)، رسالة ماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2009 – 2010 م، ص 34.

[2] محمد الحبيب بشاري، التوسعات الرومانية وانعكاساتها على الزراعة المغاربية، مجلة الدراسات التاريخية مجلة دورية محكمة، العدد الرابع عشر 14، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، بوزريعة، الجزائر، 1433ه – 2012، ص 20.

[3] المازوني أبي زكرياء يحيى بن موسى بن عيسى المازوني (ت883ه)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح: قموح فريد، مذكرة ماجستير في علم المخطوط العربي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010-2011، ص125.

[4] المازوني أبي زكرياء يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت883ه)، كتاب الجامع، تح: نور الدين غرداوي، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2010-2011، ص 286.

والجوائح الطبيعية أثرت على النشاط الزراعي والصناعي والتجاري بالمغرب الأوسط، هذا الأخير الذي يعتبر همزة وصل بين العالم الخارجي والمراكز التجارية بالمغرب الأوسط، فخلال القرنين (07هـ- 09هـ/ 13- 15م)[1]، كانت التجارة رائجة ومربحة في هذه الفترة لكن في بعض الأحيان تظهر الحروب والجوائح الطبيعية، التي تؤثر في الحياة السياسية، مثل الحصار الذي تعرض إليه المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية من طرف الدولة المرينية، حصار سنة (665هـ/ 1266م)، (656هـ/1258م)، وغيرهما من الهجمات التي شكلت ضرراً على الأوضاع الحضارية للمغرب الأوسط.[2]

2.3.3. تأثير الجوائح الطبيعية على الجانب النظامي

تميز تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط بالعديد من الحروب والهجمات الخارجية التي سببت المجاعة وبعد هذه المجاعة نتج عنها الوباء الذي هلك العباد، فنلاحظ بين سنتي (697- 702هـ/ 1297- 1302م) شكل السلطان أبو يوسف يعقوب المريني (685- 706هـ/ 1286- 1306م) حصارا على بلاد تلمسان، فنشب جرّاء هذا الحصار مجاعة شديدة إلى أن توفي مئة وعشرون شخصًا، كذلك هجوم السلطان أبي سعيد المريني (710- 731هـ / 1310 - 1331م) على مدينة تلمسان حيث أن أهل مدينة تلمسان قاموا بتخزين كل الأغذية فنشب احتكار السلع وانتشار المجاعة وظهور الوباء[3].

4.3. تأثير الجوائح الطبيعية على الحياة الثقافية

لم تكن النخب العالمة المتمثلة في الفقهاء والمتصوفة بعيدة عن نبض المجتمع وعن إيقاع الحياة الاجتماعية، خاصة إذا استحضرنا أنّ أغلب الفقهاء كانوا متصوّفة وزهّادا ونسّاكا يلازم غالبيتهم المساجد ويرابطون في زوايا التعليم القرآني يتدارسون علوم الشريعة ويجتهدون في الفقه وفي تعليمه، لذلك سجّلت مختلف النوازل حضور وتدخّل تلك النّخب لتخفيف

[1] نورالدين غرداوي، المرجع السابق، ج01، ص 71.
[2] محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص 27.
[3] نبيل شريخي، المرجع السابق، ص 34.

وطأة تلك الكوارث بما كان تحت أيديهم من إعانات وأملاك ومؤن، وبتدخلاتهم لدى السلطان لتسخير إمكانات الدولة ومقدّراتها لخدمة الفئات الهشّة في المجتمع والدّولة.

1.4.3. موقف الفقهاء من الجوائح الطبيعية ومعالجتها

عرف المغرب الأوسط مثل باقي المناطق الأخرى الأمراض والأوبئة، مثل: الطاعون والجذام والجذري والحصبة والحمى ...الخ، وكان للجوائح الطبيعية دورا كبيرا في هذه الأمراض والأوبئة، وانعكست سلبا على مجتمع المغرب الأوسط، فتصدى له نخبة من العلماء والفقهاء، كابن مرزوق الخطيب الذي كان يصنع دشيشا ويطبخه وعند نضجه يخرج به إلى المرضى والمنقطعين ويعطي كل واحد ما يشبعه، وعندما يكمل عمله يتجه نحوى المرضى العاجزين لخدمتهم من تغذيتهم وغسل أجسادهم وملابسهم ويحلق لهم رؤوسهم ويكنس لهم البيت.[1]

وبعد ظهور الكثير من الجوائح الطبيعية بالمغرب الأوسط لجأ العلماء والفقهاء إلى إيجاد حلول لهذه الجوائح مثل: توعية الناس وتثقيفهم بأن هذه الجوائح الطبيعية تعود إلى مشيئة الله ويجب أن نتعامل معها بحكمة وفطنة، وتقديم لهم يد العون في حلولها من مأوى وغذاء، والالتزام بالحيطة والحذر، ومهما كانت هذه الجوائح وصعوبتها يجب التصدي لها وعدم الفرار إلى مناطق أخرى حتى تمنع التنقل من إنسان إلى آخر.

أما ابن خلدون لمّا رأى كثرة الموتى من هذه الجوائح لجأ إلى البحث عن أسبابها، وذكر بأن مصدر هذه الأوبئة والأمراض التي هلكت سكان المغرب الأوسط يعود سببها إلى المجاعة التي حلت بهم، وسبب المجاعة نقص المحاصيل الزراعية، بسبب الجوائح الطبيعية، منها الكوارث الطبيعية وفساد الهواء.[2]

تعرض المغرب الأوسط إلى العديد من الجوائح الطبيعية التي مست بالبلاد والعباد، فاهتم بها الأئمة والعلماء والفقهاء، لأن هذه الجوائح أثرت على المستوى المعيشي والجانب

[1] أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص 246.
[2] الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 30.

الحضاري، فأصبح جل الناس يسألون عن مصيرهم الاجتماعي والحضاري بصفة عامة، مثل الطاعون الذي قتل الآلاف من الناس وتدهور المستوى المعيشي.[1]

ففي حديث لابن مرزوق مع السلطان أبي الحسن المريني: "عندما توالت الأمراض على السلطان أبي الحسن المريني، ومرض بمرض الحمى فقال له: اذهب إلى تلمسان فخاف ابن مرزوق وقال له: والله لا فارقتك.[2]

كما أن الفقيه الصوفي ابن صعد نادى السلطان بفتح أبواب الغذاء أمام المجتمع وحدث الناس عن إعانة بعضهم البعض حتى تجتاز هذه الأزمة التي حلت بهم من وباء وطاعون، وابتعاد الناس عن الحرابة التي سادت في بلاد المغرب الأوسط، ونهيهم عن السرقة وأخذ أموال الناس بالباطل، فعالج أمور الغلاء والغش في السلع والنقود، فنصح الأطباء الناس الابتعاد عن الوباء، كذلك نجد الفقيه المتصوف أبي يعزا كانت مهمته معالجة المرضى".[3]

وكان العلماء والأئمة والفقهاء يقومون بالاستفسار عن هذه الأوبئة والأمراض، ثم يأمروا الناس بالتباعد، ثم يدعون الله عز وجل بأن يذهب هذا الوباء، والقيام بصلاة الاستسقاء، من أجل التخلص من هذا الوباء، حتى أن جل الأطباء كانوا ينصحون بالفرار منه.[4]

وسار على نحوهم الفقهاء والمتصوفة والصلحاء والأولياء وقدّموا لهم يد العون وكيفية التخلص منه، وتم طرح بعض الأسئلة الخاصة بهذا الوباء[5] عليهم، فأجاب الرصّاع بقوله: "أجمعت الأمة على أن الفرار ليس بواجب، وإنما الخلاف هل هو جائز أو مكروه أو حرام".[6]

أشار حسن الوزان إلى كيفية التعامل مع الوباء بقوله: "...كثيرا ما يتلهى في المساجد يوم الجمعة في الوقت الذي يجتمع عادة ألاف الأشخاص، فإذا وصل الخطيب إلى أحسن فقرة

---

[1] المرجع نفسه، ص 42.

[2] المرجع نفسه، ص 249.

[3] الطاهر منزل، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب لابن صعد التلمساني (901هـ/ 1496م)، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 02، الجزائر، 2011– 2012م، ص ص92 – 93.

[4] محمد حسن، المرجع السابق، ج01، ص607.

[5] أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص 50.

[6] محمد حسن، المرجع السابق، ج01، ص608.

في خطبته واتفق أن سعل آخر (ثم آخر) وهكذا حتى يسعل الجميع في نفس الوقت تقريبا إلى نهاية الخطبة فيفترقون دون أن يسمع أحدا إليها".[1]

فهذه الجوائح التي حلّت بسكان المغرب الأوسط وقتلت الكثير منهم خلال القرنين (07- 08هـ/ 13- 14م)، فلجأ الأئمة والمحدثون والعلماء إلى التضرع الله سبحانه وتعالى ودعوا أن يخلصهم من هذه المصائب الطبيعية التي حلت بهم وعكرت حياتهم ومعيشتهم وراودهم الخوف في كل ليلة، فاعتمد ابن حجر العسقلاني دعاء الشيخ ولي الله الملولي سنة (760هـ/ 1358م)، أما المصريون فقد أكثروا الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم والتسبيح والتضرع إلى الله تعالى من أجل النجاة من الطاعون الجارف الذي حلّ بهم، كذلك الطاعون الجارف الذي حلّ بتونس سنة (783هـ/ 1381م) فقتل الكثير من الناس إلى أن عاش الناس خوفاً شديداً.[2]

أما ابن هيدور فيجزم في قوله أن للغلاء والأمراض علاقة تلازميه، "إذا كان الغلاء وطال واشتدت أسبابه لزم عنه الوباء "أي كلما زاد الغلاء اشتد المرض.[3]

لذلك نستطيع القول أن المجاعة غالبا ما تكون مقرونة بالوباء والأمراض الفتاكة التي أحدثت نزيف في الحياة البشرية، لأن هذه الأوبئة كانت تنتقل من منطقة إلى أخرى وبأسرع وقت".[4]

وسئل الفقيه الشيخ أبو الحسن القزويني عن فرار الناس من بعضهم البعض في فترة الوباء؟ فأجاب من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم قال:"[لا عدوَى ولا طِيَرَةَ]"[5] كذلك

[1] حسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص 84.
[2] محمد حسن، المرجع السابق، ج01، ص 609.
[3] عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص22.
[4] المرجع نفسه، ص 24
[5] البخاري أبي عبد الله محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الراوي عبد الله بن عمر، المحدث البخاري، خلاصة حكم المحدث صحيح، ص 5753.

قال:"[لا يحلُ المُمْرِضُ محلَّ المصِحِّ حيثُ شاء]"[1]، فهذه الأحاديث كل فقيه كيف فسرها، بينما يرى الونشريسي أن هذا الحديث ينطبق على الناس في فترة الوباء وتمسك الناس به.[2]

شهد مجتمع المغرب الأوسط المجاعات الناتجة عن الجوائح الطبيعية، فالبعض منهم نزحوا إلى المدن وأخلوا القرى والمداشر من أجل البحث عن قوت يومهم، رغم الأمراض المتواجدة في المدن، وهو الذي اعتبره الفقهاء والمؤرخون أحد أهمّ أسباب النزوح الريفي بالمغرب الأوسط خلال القرنين (07- 08هـ/ 13- 14م).[3]

وسئل الفقيه أبو الحسن القزويني على حق المجذوم من الناس والأطباء؟ حيث أجاب: أن المريض بالوباء له حق على الناس والأطباء من أجل التداوي وشفائه من المرض، لكن المعاملة مع المرضى تكون بالحيطة والحذر، حتى لا يتفشى المرض وينتقل من شخص إلى آخر، وإن توفى المريض له حق الغسل والدفن وتطبق كل شروط الميت.[4]

قام الفقهاء بإرشاد الناس وإعطائهم تعاليم مواجهة الجوائح الطبيعية، مثل: ممارسة النشاط الفلاحي وعدم التوقف إذا أصابت محاصيلهم جوائح طبيعية، ودعمهم من طرف السلطة السياسية، إضافة إلى العودة إلى الله بطاعته والتوبة من ذنوبهم والصيام وصلاة الاستسقاء[5]، مثل ما عمل به أهل أجلو "الذين وقع فيهم وباء في أحد السنين فأضر بأهلها في جناتهم، وآذى كثيرًا، فاقتضى نظرهم أن يجتمعوا ويصوموا يوم الأربعاء والخميس والجمعة، وربما استعان بعضهم بالأولياء وذوي الكرامات، وفي هذه الظروف شكا أهل تلمسان إلى أبي زكريا يحي بن يوغان الصنهاجي قحطا مسهم فاستسقوا به فسقوا".[6]

---

[1] البخاري أبي عبد الله محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الراوي أبو هريرة، المحدث البخاري، خلاصة حكم المحدث صحيح، ص 5751.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج 11، ص 352.

[3] محمد حسن، المرجع السابق، ج01، ص 620.

[4] الونشريسي، المصدر السابق، ج 11، ص 358.

[5] أمين كرطالي، المرجع السابق، ص ص41 - 42.

[6] نوال بلمداني، المرجع السابق، ص 50.

5.3. النصوص المتعلقة بالجوائح الطبيعية

اهتمت نصوص خبرية بتوصيف حالة الأوطان أثناء نزول الوباء خاصة العام منه، وذلك لعظم تأثيرها على الفرد والجماعة في الأقاليم المتصلة كبلاد المغرب الإسلامي، ولشموليتها لمناخي الحياة، وبين أيدينا نصوص تحدّد المجال الجغرافي الذي انتشرت فيه تلك الأوبئة، وكذا الاحتياطات الشرعية والصّحية للتعامل مع الوباء وكيفيات الاحتراز والوقاية منه.

1.5.3. الوقاية من الوباء وطريق التحفظ منه

في النصوص التالية مادة خبرية تقريرية مهمة لبعض الفقهاء والتجار والإخباريين تتبيّن فيها مدى انتشار الأوبئة في عصور كتابة النصوص ويتحدّث عن انتقال الأوبئة من بلاد الإفرنج نهاية الفترة الوسيطة إلى بلاد المغرب وهي إشارة مهمّة عن تطور الحالة الوبائية في العالم وانتشار الأوبئة من الشمال إلى الجنوب وتأثيرها على حركية التبادل التجاري.

1.1.5.3 الوباء وطريق التحفظ منه

يتحدّث تاجر فقيه بدقّة عن الأوضاع العامة في بلاد المغرب وعن قبلها "... فمنذ مائتين من السنين والاحتراز على الوجه المسمى كرنتينة موجود في البلاد الفرمجية، وفي بعض بلاد المسلمين، مثل تونس، وطرابلس الغرب وتطوان من مراسي فاس ولم يسمع بوقوع الوباء في تلك البلاد. ولم يتخلّل في الأكثر ما عاداها من البلاد الإسلامية من الوباء، فالمغرب الأوسط يتصل شرقيه بتونس كما يتصل غربيه بتطوان وقل ما تخلو من الوباء ولم يسمع وقوع الوباء بتونس ولا بتطوان بعد حدوث الكرنتينة فيهما ...

ويصف بعض الاحترازات وإن كانت متأخّرة عن فترة بحثنا إلاّ أنّها تبيّن مدى تطوّر الاحترازات من تطوّر الحالة الوبائية وطرق الوقاية منها، "وأنا العبد الحقير وقعت الوباء بالجزائر وأنا بها فالتزمت بأقل مما يحتاط الإفرنج، فكنت أصلي الجمعة وأحضر الجزائر مع أصحابي وأقاربي من غير أن أقتحم مجتمع الناس ولا أمسى أحدا ولا قماشا، ثم ارجع واتجر فسلمني الله سبحانه أنا ومن معي، وتكرر ذلك أزيد من عشرين سنة".

وممّا يدلّ على اتصال الرجل بالفقه والمعرفة الدينية هو العبارة التالية التي تدلّ على إلمامه وفقهه للضوابط الفقهية لكيفيات التعامل مع النوازل المرتبطة بالوباء"... وليس في القواعد

الدينية ما تترتب عليه الكراهة فضلا عن التحريم، إذ الاحتراز عن مقاربة المرضى بالوباء من جملة السباب جائز أخذ الإنسان بها مع الإسناد التأثير والسلامة إلى الله سبحانه ..."

ويضيف صاحب النصّ بما يفيد بإلمامه بأصل الأمراض وكيفيات انتشارها وانتقالها إلى سبل الوقاية منها، أنّ" أصل تولد هذا المرض، هو تعفّن الهواء وتولد السمية فيه كما صرح به الحكماء ووافقهم عليه طوائف الفرنج فاعتنوا بإصلاح الهواء وإزالة العفونات في مصر حين دخلوها سنة (1212هـ/ 1798م)، فلم يساعدهم عوام أهل مصر في مقترحهم وإنِّي أتوهم إن تلك السمية الحاصلة من العفونة قد تشتد في بعض الأفراد وتتكون قوتها بحيث تَشَّبَثُ بكل ما يجاورها ما يحفظ السمية كالقطن والصوف ونحوهما كما تحفظ الروائح فيكون ذلك سبب لسريانها بأن الله، وأطباء الإسلام لم يقع لهم ممارستها ولا استقراء ما تتشبث به، فلم يصرحوا إلا بكونها من الأمراض المعدنية وأظن أنهم لم يتحققوا بماذا تعدى"[1]، فهذه الأمراض والأوبئة باتت تلاحق الإنسان إلى يومنا هذا، حيث أن يتصدى لها الإنسان بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى والأطباء بالتداوي.

2.5.3. الطاعون بالمغرب الإسلامي

شهدت بلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط عدة موجات جائحة الطاعون، التي خلفت أثارًا عميقًا على المجتمعات من الناحية الديمغرافية، الاقتصادية والاجتماعية وكان الطاعون الأسود من أبرز الأوبئة التي اجتاحت المنطقة في أواخر العصر الوسيط، حيث انتشر بسرعة عبر الطرق التجارة والموانئ مخلفًا خسائر بشرية هائلة.

وقد لعبت العوامل الجغرافية والتجارية دورًا مهمًا في انتشار المرض، إذ كانت المدن الكبرى مثل فاس، تونس، تلمسان، القاهرة، مركز للتجارة والتواصل، مما سهل انتقال الوباء، كما أثرت هذه الجوائح على الأنشطة الزراعية والتجارية، وأدت إلى اضطرابات اجتماعية بسبب نقص الأيدي العاملة وتغير البنية السكانية.

[1] حمدان خوجة، اتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء، تح محمد عبد الكريم، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1988م، ص ص119-133-134.

1.2.5.3. الطاعون

أمّا في نهاية الفترة الوسيطة فإنّ نصا مهمّا و إن كان يصف حالة وباء خارج الإطار الجغرافي للبحث إلاّ أنّه يحمل توصيفا للتأثير الأفقي للجائحة ولمدى شموليتها لمناحي الحياة وتأثيراتها العامة على الأحوال المجتمعية والوضع الاقتصادي" ومن أعجب ما يحكى في هذه السنة (1088– 1089هـ/ 1677– 1678م) لحم العيد السمين والهزيل لم ينضج، وفي أوائل العام ظهر طاعون بتطوان في حوز بني زيّات، ثم فشا في البلد و وقع الموت، وكان الشتاء في هذا العام دافئا وغلب نزول المطر في الصيف وبرد الجوّ ووقع بفاس ريح وسعال، وظهر الجراد بحوز مراكش إلى سلا إلى تافيلالت، فافسد الجريد واشتدّ الغلاء، وسلّم الله فاسا وحوزها، وفي قبل نصف الليل من ليلة الخميس عاشر شعبان وقعت زلزلة فطن لها كثير من الناس ولم يشعر بها البعض، ثم في يوم الجمعة سابع عشر شعبان وقعت زلزلة أخرى، ثم وقعت أخرى في سابع وعشرين من الشهر"[1].

ويكمل صاحب النص توصيفه لانتشار الوباء و لتعامل السلطة الحاكمة مع آثاره "وفي حوادث هذه السنة (1088-1089هـ/ 1677– 1678م) ظهر الطاعون أولا بتطوان إلى أن بلغ الموتى بها خمسين نفسا في اليوم الواحد، وظهر بالقصر إلى أن بلغ موتاهم مائة وخمسين في اليوم الواحد، وبلغ خبره إلى الخليفة إسماعيل الحسني فوجه عبيده إلى وادي سبوا وأمرهم أن لا يترك أحد يعدوه، وخرج أمير المؤمنين إسماعيل من مكناسة إلى الحركة، وخرجت المحلة فاس في رابع عشر ربيع الأول فقدمت عليه، وظهر الطاعون بفاس الجديد المرينية، فصلّى بها ليلة المولد على عشرين، وكثر بها وخلت مدرستها وسدّت ثامن ربيع الأول، وكثر بالقرى المجاورة لها بعين الخميس وبموضع الخميس اليوم، وبتلك القصابي وافر كان حتى خليت.

ووجّه السلطان المولى إسماعيل عبيده إلى إحراق تلك القرى التي خلاها الطاعون فاحرقوها عن أخرها وخربوها وتركوها خرابا في خامس عشر ربيع الأول وأمر عبيده ألا يتركوا من يريد المرور من فاس إلى مكناسة الزيتون، فكانوا يحرسون الطرق ليلا ونهارا ومن

[1] محمد القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمد حجي، الرباط، ص ص22 - 23.

لم يسعفهم في لرجوع عن المسير إلى مكناسة قتلوه، وظهر الطاعون بفاس وكثر إلى أن بلغ الموتى في اليوم الواحد أربعمائة إلى ثمانمائة إلى ألف وأزيد إلى أن ضعف في من سلخ رمضان، فبلغ الموتى في اليوم الواحد عشرة ثم ظهر الطاعون بمكناسة الزيتون دار الملك إلى أن بلغ الموتى بها ثلاثمائة إلى أن ضعف، فبلغ الموتى في اليوم الواحد خمسين، وظهر بمراكش فبلغ الموتى بها في اليوم الواحد نحو ألفين وأكثر ومات بمدغرة وتافيلالت وتوات وسائر بلاد الصحراء ملا يحصى"[1].

[1] محمد القادري، المصدر السابق، ص 23.

الخاتمة

لقد شكلت الأوبئة إذن خطرا كارثيا على الساكنة في بلاد الغرب الإسلامي وبلاد المغرب عموما، وفي بلاد المغرب الأوسط خصوصا خلال الحكم الزياني في العصر الوسيط، والتي أصبحت عائقا أمامهم أو في حياتهم اليومية مثل : ما حدث اليوم من تفشي بعض الأمراض في المغرب الأوسط أي الجزائر حاليا، مثل : الطاعون ،الكوليرا ، الكورونا ...الخ.

وتعرض المغرب الأوسط خلال العهد الزياني خاصة في القرنين (07- 08ه / 13 - 14م)، إلى الكثير من الأوبئة التي كانت تندثر وتزول ثم بعد سنوات تعود كما وضح بعض المؤرخين أنها تعود كل أربع سنوات، وتزامنت هذه الأوبئة مع ظهور الحروب والصراعات المتوالية على المغرب الأوسط.

فمن أنواع الأمراض والأوبئة التي كانت تظهر في المغرب الأوسط خلال الحكم الزياني، منها: الوباء، الطاعون، الجذري، الجذام، الحصبة، الحمى، البرص، السعال، نزع الشعر (القرع)، وهي الأمراض ذات الطابع الوبائي العام الذي يحمل صفة الجائحة والكارثة دون غيره من الأمراض الأخرى التي تعرف لها انتشارا جزئيا.

حيث أدى ظهور هذه الأمراض والأوبئة التي حصدت الكثير من أرواح البشرية، والشيء البارز أن هذه الأوبئة لا تفرق بين قوي أو ضعيف وغني أو فقير فهي ليس مثل: الحروب والنزاعات.

ومن المعلوم أن الأوبئة تؤثر على الجانب الاجتماعي، بداية من ظاهرة الجوع الذي ينتج عنها النهب، والسرقة، والسلب، والقتل، وكذا تأثيرها على المنحى الثقافي، حتى أصبحت الأمية منتشرة لأن الخوف من الوباء وعدم الخروج للدراسة ومخالطة الناس، وتركيز الدولة على الجانب الطبي والأمني دون غيره، وكذلك الجانب السياسي المتمثل في مواجهة السلطة

الحاكمة لهذا الوباء، وارتباك الحركية الاقتصادية من الجوائح الأخرى، منها الطبيعية ومنها البشرية النّاشئة عنها، علاوة على ذلك الأوبئة الفتاكة.

ومن جرّاء الأوضاع السائدة في المنطقة يبدأ الإنسان بالبحث لإيجاد حلول موازية للتقليل من آثار هذه الأوبئة والجوائح التي فتكت بالكثير من الأرواح، سواء في أوروبا أوفي المشرق العربي وكذلك في المغرب الإسلامي خاصة المغرب الأوسط خلال عهد الدولة الزيانية في القرنين (07-08هـ/ 13-14م).

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- سورة المائدة، **الآية** 33.

-سورةالأنبياء، **الآية** 30.

- سورة النور، **الآية** 43.

الأحاديث النبوية الشريفة

- البخاري أبو عبد الله محمد إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، 2002، رقم 394.

المصادر

أ- المصادر المخطوطة

- ابن خاتمة أبو جعفر أحمد الأندلسي، مخطوطات ومطبوعات تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد 747هـ، شبكة الألوكة، www. alukah.net، دت.

- مجهول ق (8هـ/14م)، رسالة في ما ضبطه أهل النقل في خبر الفصد بالطاعون لمؤلّف مجهول، نسخة مصوّرة عن معهد الثقافة و الدراسات الشرقية، طوكيو اليابان ، رقم 1169، مكتبة المصطفى الالكترونية www.al-mostafa.com.

ب- المصادر المطبوعة

- الإدريسي محمد، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م.

– الشيماخي أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، كتاب السير، تح أحمد بن السيابي، ط2، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1412ه/1992م، ج3.

– عبد الله سيدي المهدي، النوازل الصغرى المسماة المنح السامية في النوازل الفقهية، دار مطبعة الفضالة المحمدية، ج03، 1993م.

– ابن مخلوف محمد بن محمد بن عمر قاسم، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تح عبد المجيد حيالي، دار المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349ه/1930م.

– ابن الأثير (555– 630ه)، الكامل في التاريخ، تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، السعودية، د سنة.

– الأصبع عيسى بن سهيل بن عبد الله الأسري (ت486)، الإعلام بنوازل الأحكام المعروف الأحكام الكبرى، تح: نورة محمد عبد العزيز التويجري، دار بلد، 1995.

– الانطاكي داود عمر، بغية المحتاج في المحراب من العلاج، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1995.

– البرزلي أبي القاسم، فتاوي البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من قضايا المفتيين والأحكام، تح محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.

– ابن رشد القرطبي المالكي أبي الوليد محمد بن أحمد بن أحمد (520ه/ 1126م)، فتاوى ابن رشد، تح: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987م.

– التنبكتي أحمد بابا (ت963ه/ 1036م)، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله الهرَّامة، دار الكتاب، طرابلس، 1999م.

– ابن الجوزية ابن قيم، الطب النبوي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2006.

– ابن حوقل النصيبي أبي القاسم، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1992م.

– ابن خلدون (808ه/1405م) عبد الرحمان، رحلة ابن خلدون، دار العلمية بيروت، لبنان، 2004م.

– ابن خلدون عبد الرحمان (ت808ه/ 1405م)، العبر ودوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الكتاب اللبناني لطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1959م.

- ابن خلدون عبد الرحمان (ت808ه/1405م)، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد درويش، مكتبة الهداية دمشق، سوريا، 2004 م.

- ابن خلدون عبد الرحمان، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تح: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، 1996م.

- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

- ابن سينا، القانون في الطب، مكتبة جمهورية مصر، القاهرة، مصر، د ت.

- السيوطي جلال الدين عبد الرحمان (ت911ه)، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2003م.

- الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر المعموري بن محمد، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م.

- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى، قسم2، دار البيضاء للكتاب، الإسكندرية، 1955م.

- العبدري البلنسي (ت نحو سنة 730ه) محمد، الرحلة المغربية، تح: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عاصمة الثقافة العربية، عنابة، الجزائر، 2007م.

- أبو عبيد البكري (ت487ه)، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة، مصر، د ت.

- أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، تح: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، 1992م.

- الفشاوني محمد بن عسكر الحسني، دوحة الناشر، تح: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1977.

- ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمر أبو الثور، دار الكتب، الجزائر، ج01، 1971م.

- كولين ما كيقيدى، أطلس التاريخ الإفريقي، تح: مختار السويفي، مصر، 1987م.

- المازوني أبوا زكريا يحي بن موسى بن عيسى بن يحيى المغيلي (ت 883ه)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح إسماعيل بركات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ج01، سنة 2009- 2010م.

- مؤلف مجهول، النخبة الأزهرية في تخطيط الكرة الأرضية - 47 خريطة و66 صورة وشكلا، مطبعة أندريا كوستا جليو، مصر، 1903م.

- مجهول، تطور العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي، سلسلة ندوات ومناظرات رقم10، المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، الرباط، 1988م.

- مجهول، كتاب الجغرافيا، تح: محمد حاج الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د س.

- المراكشيّ ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان و إ. ليقبروقنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م.

- ابن مرزوق أبي القاسم بن محمد بن عضوم المرادي (ت1009ه)، كتاب الأجوبة، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الحكمة، تونس، 2009م.

- ابن مرزوق التلمساني أبي عبد الله محمد، المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغربية، المغرب، 2008.

- المقري أحمد بن محمد، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر ما لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، الملكية، الرباط، 1983م.

- الوزان الزياني (ليون الإفريقي) الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، تر: عبد الرحمن حميدة، كلية العلوم الاجتماعية بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1399م.

- الوزان حسن، وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983.

- الوسياني أبي الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان (ق6ه/ 12م)، سير الوسياني، تح: عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، وزارة التراث والثقافة مسقط، سلطنة عمان، 2009م.

- الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي (ت914ه)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، الرباط ، بيروت، 1981م.

- ابن يشتغري أحمد بن سعيد (ت 516ه)، اللورقي المالكي، تح: قطب الريسوني، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2008.

- الحفناوي محمد، تعريف الخلف برجال السلف، تح: خير الدين، دار كردادة، الجزائر، 2013م.

- القادري محمد بن الهيب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمد حجي وأحمد التوفيق، مكتبة الطالب، شارع محمد الخامس، الرباط، 1402ه / 1982م.

المراجع

- بن ساعو محمد، ص122.

- بالفقيه محمد، الجغرافيا القول فيها والقول عنها، النشر العربي الإفريقي، المغرب، د س.

- بولقطيب الحسين، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الرباط 2002.

- البياض عبد الهادي، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والاندلس (ق6-8ه/12-14)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2008م.

- تلي رفيق، المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، برلين، ألمانيا، 2021م.

- الجنابي عبد الزهرة علي، ابن خلدون جغرافيًا، كلية التربية، جامعة بابل، د س.

- حجي محمد، المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، ندوة الإمام مالك، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار الهجرة، فاس، 1980م.

- مختار حساني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبو زكرياء يحي المغيلي المازوني، ج1، مخبر المخطوطات، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2004.

– خصباك شاكر، الجغرافيا عند العرب، دار المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1986م.

– خوجة حمدان، اتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء، تح: محمد عبد الكريم، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1988م.

– دَانْيِيْل شْرُوْتَرْ، تجار الصويرة المجتمع الحضريُّ والإمبرياليةُ في جنوبي غربِ المغربِ (1844 – 1886م)، تعريب خالد بن الصغير، سلسلة النصوص والأعمال المترجمة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، دار النجاح الجديدة بالبيضاء، المملكة المغربية، 1997.

– رزوق محمد، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين (16 – 17)م، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، 1998م.

– زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، السفارة، القاهرة، مصر، 2013م.

– الشاهدي الحسن، أدب الرحالة بالمغرب، دار الليمون، الرباط، 1990م.

– شرنولي عبد الرحمان، البحث الجغرافي، دار القاهرة، مصر، 1978م.

– أبو العلا محمود، الفكر الجغرافي، دار اللواء للطباعة، جامعة الأزهر مصر، 1979م.

– فتحة محمد، النوازل الفقهية والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6-9هـ/ 12–15م)، سلسة الأطروحات والرسائل، جامعة الحسن الثاني عين الشق، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، مطبعة المعارف الجديدة، الدار البيضاء، الرباط، 1999م.

– الكردين علي إبراهيم، أدب الرحلة في الأندلس والمغرب، وزارة الثقافة، دمشق، 2013م.

– مجاني بوبة، التيارات السياسية والدينية في الجزائر، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.

– محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقيا، دار الكتب الجديدة المتحدة، بنغازي ليبيا، 2003 م.

– أبو مصطفى كمال الدين، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال النوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، دار الإسكندرية، مصر، 1996م.

- المنوني محمد، المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية بالرباط، المملكة المغربية جامعة محمد الخامس، الرباط، (1404هـ/ 1983م).

- المواق محمد والرصاع محمد، الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية (886هـ-1481م) ، نص جديد حول الأندلس وإفريقية قبل سقوط غرناطة، تح: محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا، 2007م.

- مؤنس حسن، ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، القاهرة، مصر، 2003م.

- نوابع واصف محمد يوسف، الرحلات المغربية والأندلس، مكتبة ملك فهد الوطنية، الرياض، 1996م.

الرسائل الجامعية

- منزل الطاهر، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب لابن صعد التلمساني (901هـ/ 1496م)، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 02، الجزائر، 2011- 2012م.

- نبيل شريخي، دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع هجري (14- 15هـ)، رسالة ماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2009 - 2010 م، ص ص26 - 27.

- بركات إسماعيل، الدرر المكنونة في نوازل مازونة أبو زكرياء يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني (883هـ/ 1478م)، عبد العزيز فيلالي، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وأثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009- 2010.

- بلمداني نوال، نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (10- 11م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الأثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013 - 2014م.

– بوحلوفة محمد أمين، أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي، بوركبة محمد، تاريخ وحضارة إسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2013 – 2014م.

– شقدان بسام كامل عبد الرزاق، تلمسان في العهد الزياني (633– 962/ 1235 – 1555هـ)، أبو رميلة هشام، رسالة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1422هـ– 2002م.

– ضيف شوقي، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، 2000م.

– شريخي نبيل، دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع هجري (14– 15 هـ)، رسالة ماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2009 – 2010 م.

– طوهارة فؤاد، المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط تخصص علم المخطوط العربي، عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010 – 2011م.

– عميور سكينة، ريف المغرب الأوسط في القرنين (05-06هـ/11- 12م)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة02، الجزائر، 2012 -2013م.

– قموح فريد، الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي بن موسى بن عيسى المازوني (ت 883هـ) دراسة وتحقق لمسائل الجهاد والأيمان والنذور، مذكرة ماجستير في تاريخ الوسيط تخصص علم المخطوط العربي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2011/2010م.

– نورالدين غرداوي، كتاب الجامع للقاضي أبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني "المتوفي سنة (833هـ/ 1478م)" (الجزء الرابع من ديوان الدرر المكنونة في نوازل مازونة) دراسة وتحقيق، عبد العزيز محمد لعرج، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، ج01، 2010 – 2011م.

– كربوع مسعود، نوازل النقود والمكاييل والموازين في كتاب المعيار للونشريسي جمعا ودراسة وتحليل، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012 – 2013.

– مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588– 927هـ/ 1192– 1520م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وأثار كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، (1429– 1430هـ/ 2008– 2009م).

– هواري موسى، تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (ق01– 07هـ/07– 13م)، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008/ 2009م.

– يزير بشير، الحركة الاقتصادية في ريف وبادية المغرب الأوسط وآثارها الاجتماعية في العصر الوسيط، ق (7-8هـ/ 13-16م)، أحمد شريفي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، 2018-2019م.

المراجع باللغة الأجنبية

– E.F. Gautier, *Le passé de l'Afrique du nord*, petite bibliothèque payant, Paris, 1952.

– Mrs. N. morsy. Gentusesinhisiory. Dr. M. A. Morsy, T01, Topmibayrot A, 1994, S 98.

– Edmonde Dotté, *Magie et religion dans L'Afrique du nord*, typographie Adolphe Jordanne, Alger, 1909.

– R. Basset, L'histoire des religion, Erneste raux Editeur, Paris, 1910.

الدوريات والمجالات والمقالات

– بالعربي خالد، المجاعات والأوبئة في تلمسان في العهد الزياني (69– 845هـ/1299– 1442م)، قسم التاريخ، كلية الآدب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، دورية كان التاريخية إلكترونية محكمة ربع سنوية – العدد الرابع – يونيو 2009.

- يخلف حاج عبد القادر، مصطلح المغرب الأوسط في المصادر الإسلامية الوسطية، عصور الجديدة- المجلد 07 -العدد 26، ردمك 1636 - 2170 issn ، الايداع القانوني : 2014 - 1156 depotlegal ، (شتاء - ربيع أفريل 1438هـ/ 2016- 2017 م).

- محمد الحبيب بشاري، التوسعات الرومانية وانعكاساتها على الزراعة المغاربية، مجلة الدراسات التاريخية مجلة دورية محكمة، العدد الرابع عشر 14، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، بوزريعة، الجزائر، 1433هـ - 2012.

- نور الدين غرداوي، قضايا المياه بالمغرب الأوسط في العهد الزياني من خلال نوازل المازوني، جامعة الجزائر، مجلة الدراسات التاريخية، مجلد 09، العدد 01، السنة 2008م.

البوابات والمواقع الالكترونية

- عبد الله الجمعان، كيفية تكون البرد موقع مركز العاصمة، طريقة فيزيائية، تحجم خسائر بشرية ومادية، يوم 07/ 03/ 2010م..https://www.storm.ae/vb/showth

- منظمة الصحة العالمية (07 تموز/ يوليو 2022م)، منظمة الصحة العالمية - جمع الحقوق محفوظة.

www.who.int://plague<detail<https.م2022سنة، http://adresse complète (consulté le jour/mois/année).

الفهرس

مقدمة..... 7

1. نماذج من النوازل الفقهية والكتابات المنقبية والكوارث الطبيعية..... 17

1.1. نماذج من كتب النوازل الفقهية والكتابات المنقبية.....17

1.1.1. جامع مسائل الأحكام مـما نزل بالمفتيين والحكام... 18

1.1.1.1. وفاته من خلال المصادر الفقهية والكتابات المنقبية والتاريخية 19

2.1.1.1. الكتب التي تعلم منها الشيخ البرزلي.....21

أ- القراءات والدراسات القرآنية.....21

ب- كتب الحديث.....21

ت- أصول الفقه.....22

ث- فروع الفقه 22

ج- التصوف.....22

ح- أمداح الرسول صلى الله عليه وسلم 22

خ- النحو 22

د- فنون مختلفة 23

ذ- الإجازات.....23

ر- رحلاته 23

ز- تلاميذه 23

2.1.1. الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت 883هـ/1478م).....25
1.2.1.1. المازوني: الدرر المكنونة في نوازل مازونة.....26
أ- نسبه ومكانته.....27
ب- مولده ونشأته.....27
ت- قرأ ودرس عند مجموعة من الفقهاء.....28
ث- نشأته حياته العلمية.....29
ج- التدريس والإقراء والتعليم.....29
3.1.1. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (834-914هـ/1430-1508م).....32
1.3.1.1. نشأته ومولده ونسبه.....23
2.3.1.1. حياته العلمية.....33
3.3.1.1. تأليفه العلمي.....35
4.1.1. المناقب المرزوقية لأبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني (187هـ/9731م)..43
2.1. ظهور الكوارث الطبيعية.....45
1.2.1. تعريف الكارثة الطبيعية.....46
3.1. تعريف بالشخصيات (الفقهاء، المؤرخون، الرحالة والجغرافيون).....48
أ- تعريف بالشخصيات.....48
أ-1 الفقهاء.....48
أ-2 المؤرخون.....50
أ-3 الرحالة والجغرافيون.....54
2. الجوائح الطبيعية..... 61
1.2. تعريفها.....62
1.1.2. تعريف بالجائحة.....62
2.2. أنواعها.....64
1.2.2. جوائح الغلاف الجوي.....65
1.1.2.2. جائحة الهواء.....65
2.1.2.2. جائحة الجوّ.....66

3.1.2.2. جائحة الحرارة 66
4.1.2.2. جائحة الرطوبة والتكاثف 67
أ- الرطوبة 67
ب- التكاثف 68
2.2.2. جائحة القحط 68
3.2.2. جائحة التصحر 72
4.2.2. جائحة الرياح 73
1.4.2.2. الرياح التجارية 73
2.4.2.2. الرياح الموسمية 74
3.4.2.2. رياح البر والبحر 74
4.4.2.2. الرياح المتغيرة 74
5.2.2. جائحة الصقيع 76
6.2.2. جائحة الفيضانات والسيول 77
7.2.2. جائحة البرد 80
8.2.2. جائحة الثلوج 82
3.2. جائحة الحيوانات البرية 84
1.3.2. جائحة الجراد 84
2.3.2. جائحة الحيوانات المفترسة والهوام 88
4.2. جائحة (الحرائق، الزلازلْ والكسوف والخسوف) 91
1.4.2. جائحة الحرائق 91
2.4.2. جائحة الزلزال والكسوف والخسوف 92
5.2. جائحة الأوبئة الفتاكة 92
1.5.2. الوباء 93
2.5.2. جائحة الطاعون 93
1.2.5.2. جائحة الجذري والجذام والحصبة والحمى 100
2.2.5.2. تبيين الجوائح الطبيعية في جدول 103
3.2.5.2. الجوائح في بلاد المغرب الإسلامي 106

3. أثر الجوائح الطبيعية على الاقتصاد و الدولة و المجتمع 107
1.3. تأثير الجوائح الطبيعية على الحياة الاقتصادية.....107
1.1.3. تأثير الجوائح الطبيعية على النشاط الزراعي والرعوي.....108
2.1.3. تأثير الجوائح الطبيعية على النشاط الحرفي والصناعي.....116
3.1.3. تأثير الجوائح الطبيعية على النشاط التجاري.....117
2.3. تأثير الجوائح الطبيعية على الحياة الاجتماعية 119
1.2.3. المجتمع 119
2.2.3. المجاعات الناتجة عن الجوائح الطبيعية.....123
3.2.3. الوباء والأمراض الناجمة عن المجاعة 125
3.3. تأثير الجوائح الطبيعية على الحياة السياسية والعسكرية.....126
1.3.3. أثر الجوائح الطبيعية على السلطة الحاكمة.....126
2.3.3. تأثير الجوائح الطبيعية على الجانب النظامي 129
4.3. تأثير الجوائح الطبيعية على الحياة الثقافية.....129
1.4.3. موقف الفقهاء من الجوائح الطبيعية ومعالجتها.....130
5.3. النصوص المتعلقة بالجوائح الطبيعية.....134
1.5.3. الوقاية من الوباء وطريق التحفظ منه.....134
1.1.5.3. الوباء وطريق التحفظ منه 134
2.5.3. الطاعون بالمغرب الإسلامي.....135
1.2.5.3. الطاعون.....136
الخاتمة 139
قائمة المصادر و المراجع 141

أنجز طبعه في جوان 2025
على مطابع عمار قرفي - باتنة - الجزائر